القراءة الراشدة

لتعليم اللغة العربية في المدارس الإسلامية

الجزء الثالث

تاليف

ابو الحسن علي الحسني الندوي

مجلس نشريات اسلام

ا.کے-۳ ناظم آباد مینشن، ناظم آباد ۱، کراچی ۷۴۶۰۰

القراءة الراشدة

لتعليم اللغة العربية في المدارس الإسلامية

تأليف

أبو الحسن علي الحسني الندوي

الجزء الثالث

مجلس نشریات اسلام

۱۔کے۔۳ ناظم آباد مینشن ناظم آباد ۱ کراچی ۷۴۶۰۰

مفکر اسلام مولانا سید ابوالحسن علی ندوی رحمۃ اللہ علیہ
اپنی حیات میں مندرجہ ذیل اداروں کے ذمہ دار رہے

- ناظم دارالعلوم ندوۃ العلماء لکھنؤ • رکن مجلس شوریٰ دارالعلوم دیوبند
- صدر مجلس تحقیقات ونشریات اسلام لکھنؤ • صدر مجلس انتظامی ومجلس عاملہ دارالمصنفین اعظم گڑھ
- رکن عربی اکادمی دمشق • رکن مجلس شوریٰ جامعہ اسلامیہ مدینہ منورہ
- رکن مجلس تاسیس رابطہ عالم اسلامی مکہ معظمہ • رکن مجلس عاملہ موتمر عالم اسلامی بیروت
- صدر آل انڈیا مسلم پرسنل لا بورڈ • صدر رابطۃ الادب الاسلامی العالمیۃ
- رکن مجلس انتظامی اسلامک سینٹر جنیوا
- سابق وزٹنگ پروفیسر دمشق یونیورسٹی ومدینہ یونیورسٹی
- صدر آکسفورڈ سینٹر فار اسلامک اسٹڈیز آکسفورڈ یونیورسٹی آکسفورڈ۔

نام کتاب ـــــــ القراۃ الراشدہ (سوم)
تصنیف ـــــــ مفکر اسلام مولانا سید ابوالحسن علی ندوی رحمۃ اللہ علیہ
طباعت ـــــــ احمد برادرز پرنٹنگ پریس۔ کراچی
ضخامت ـــــــ ۱۸۴ صفحات
ٹیلیفون : ۶۶۰۱۸۱۷

اسٹاکسٹ: مکتبہ ندوہ قاسم سینٹر اردو بازار کراچی
ناشر
فضل ربی ندوی
مجلس نشریاتِ اسلام ۱۔کے۔۳ ناظم آباد مینشن۔ ناظم آباد ۱ کراچی ۷۴۶۰۰

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

الحياة في مدينة الرسول ﷺ

هاهو ذا قد أسفر النهار ، و الناس راجعون من المسجد النبوي في سكينة و وقار ، و لكن في خفة و نشاط ، و هنا دكان يفتح في السوق ، و هنالك سكة تمشي في الحقل ، و هذا بستان من نخيل يسقي ، و ذلك أجير يشتغل في حائط على أجرة يأخذها في المساء ، قد اندفعوا إلى أشغالهم بما سمعوا من فضيلة كسب الحلال ، و طلب مرضاة الله بالمال ، ترونهم خفاف الأيدي في العمل ، ذلل اللسان بذكر الله ، عامري القلوب بالحسبة و طلب الأجر ، يحتسبون في أشغالهم مالا يحتسب المصلي اليوم في صلا ته ، مقبلين بقلوبهم إلى الله ويقالبهم إلى شغلهم ، وها هو ذا قد أذن المؤذن ، فإذا بهم ينفضون أيديهم مما كانوا فيه ، كأن

لم يكن لهم به عهد ، وخف إلى المسجد : رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيْهِمْ تِجَارَةٌ وَّلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيْتَاءِ الزَّكَوٰةِ يَخَافُوْنَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيْهِ الْقُلُوْبُ وَالْأَبْصَارُ .

وها هو ذا قد قضوا صلاتهم ، و انتشروا في الأرض يبتغون من فضل الله و يذكرون الله ، و قد مالت الشمس إلى الغروب فرجعوا إلى بيوتهم وقابلوا أهلهم و جلسوا إليهم يتحدثون معهم ، يلاطفونهم و يؤنسونهم طمعا في أجر من الله و رضوان ، و ناموا بعد صلاة العشاء ، و إذا بهم قائمون أمام ربهم في الأسحار ، لهم دوي كدوي النحل ، و في صدورهم أزيز كأزيز المرجل ، وينصرفون بعد صلاة الصبح إلى أشغالهم في نشاط الجندي وقوته ، كأن لم يتعبوا في النهار ، ولم يسهروا في الليل .

انظروا إلى مجالس الذكر و العلم في المسجد ، وقد ضمت صنوفا و أنواعا من الناس ، فهذا هو الفلاح الذي رأيته في النهار في حقله ، و هذا هو الأجير الذي رأيته ينزع الدلاء ، و يسقي النخيل في بستان يهودي ،

وهذا هو التاجر الذي رأيته في سوق المدينة يبيع ، وهذا هو الصناع الذي وجدته مشتغلا بصناعته ، و ليسوا الآن إلا طلبة علم ، وقد هجروا راحتهم ـ وهم في حاجة إليها بعد شغل النهار ـ و تركوا أهلهم وهم في حنين إليهم ، لأنهم سمعوا: " أَنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا صَنَعَ " ولأنهم سمعوا " لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُوْنَ اللهَ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَـةُ ، وَ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِيْنَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيْمَنْ عِنْدَه " تراهم ساكنين كأن على رؤوسهم الطير ، خاشعين كأن الوحي ينزل : " حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوْبِهِمْ قَالُوْا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوْا الْحقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيْرُ " يتسابق العلم والخشوع ، فلا يدري أيهما أسبق ، وتبتدر المعاني إلى القلوب والكلمات إلى الآذان ، فلا يدري أيهما أسرع .

وقد اتفق كثير من الناس على التناوب ، فإذا غاب أحدهم عن مجلس الرسول الكريم حضر جاره أو أخوه ، فيخبر الأول بما دار في المجلس من حديث ، وما نزل من آية .

وهؤلاء هم القراء قد انقطعوا إلى العلم ، فإذا جنهم الليل انطلقوا إلى معلم لهم في المدينة ، فيدرسون الليل حتى يصبحوا ، فإذا أصبحوا فمن كانت له قوة استعذب من الماء ، وأصاب من الحطب ، ومن كانت عنده سعة اجتمعوا فاشتروا الشاة ، وأصلحوها ، فيصبح ذلك معلقا بحجر رسول الله ﷺ .

وما من أحد في المدينة إلا ويعرف الحلال والحرام ، وما يتعلق بحياته ، وحرفته ، وشغله من الأحكام ، ويحفظ من القرآن ما يقوم به في صلاته ، ثم هو مستمر في طلب العلم ، يزداد كل يوم فقها في الأحكام ، ورسوخا في الدين ، وحرصا على العمل ، وشوقا إلى الآخرة ، ورغبة في الثواب ، وعلمهم بالفضائل أكثر من علمهم بالمسائل ، وبأصول الدين أكثر من علمهم بفروعه ، أبر الناس قلوبا ، وأعمقهم علما ، وأقلهم تكلفا .

وإذا تعلم أحد منهم شيئا من الدين أسرع إلى إخوانه يعلمهم ، لأنه سمع "أَلاَ فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ،

فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ " وسمعوا نبيهم يقول : "إِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّماً " وسمعوا يقول : لاَحَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهْ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِيْ بِهَا ، وَيُعَلِّمُهَا ".

وهكذا انقسم المسلمون في المدينة بين طالب ومعلم ، فإما طالب و إما معلم ، بل كل واحد منهم طالب ومعلم في وقت واحد ، يأخذ من مكان ، ويدفع إلى مكان .

هل عرف التاريخ مدرسة أوسع من هذه المدرسة النبوية التي يقرأ فيها التاجر ، والفلاح ، والأجير ، والصناع ، والمحترف ، والمشغول ، والشباب الناهض ، والشيخ الفاني ؟ يتعلمون فيها بجميع قواهم ، فالأذن تسمع ، والعين تبصر ، والقلب يشعر ، والعقل يفكر ، والجوارح تعمل .

عرفوا أحكام الاجتماع في الاجتماع ، وأحكام الاختلاط في الاختلاط ، وأحكام التجارة في التجارة ، وأحكام المعاشرة في المعاشرة ، فاستطاعوا أن يحافظوا على دينهم ، و نياتهم ، وخشوعهم ، وذكرهم ، في المجامع والمجالس ، وفي صخب الأسواق ، وفتنة البيوت ،

فإذا خاضوا في الحياة لم يغلبوا على أمرهم ، شأن الذي يتعلم السباحة في بحر متلاطم ، وفي نهر فياض ، فكانوا في المسجد إذا خرجوا من المسجد ، و في الصلاة إذا انصرفوا من الصلاة ، بررة القلوب ، صادقي الوعد ، سديدي القول في المساجد و الأسواق معا ، وفي المعتكف والحانوت معا ، و في الحضر والسفر معا ، و مع الصديق و العدو معا .

حتى إذا نادى منادى الجهاد: انفروا خفافا و ثقالا و جاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله . وهتف هاتف الجنة : و سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموت و الأرض . أقفل التاجر دكانه ، و ترك الفلاح سكتـــه ، و رمى الصناع آلاته ، و ترك الأجير رشاء دلـوه ، و خرجوا في سبيل الله لا يلوون على شيء ، كأنهم كانوا من ذلك على ميعاد ، و في ديارهم وأهلهم على مسامحة و رخصة .

و ترونهم يتجولون في البلاد ، و يسيحون في الأرض ، كأنهم على ظهور الخيل ، و ولدوا على متون

الإبل ، يعدون غدوة أو روحة في سبيل الله أفضل من الدنيا و ما فيها ، يصلون النهار بالليل ، و الشتاء بالصيف ، و هم أينما رحلوا و نزلوا مدارس سيارة ، ومساجد متنقلة ، و هكذا نشروا الدين من أقصى الأرض إلى أقصاها ، و من شرقها إلى غربها .

(من رسالة "إلى ممثلي البلاد الإسلامية" : للمؤلف)

❖الأسئلة :

١ـ ماذا كان يفعل الصحابة إذا سمعوا الأذان ؟

٢ـ بعد قضاء الصلاة ماذا يصنع المسلمون ؟

٣ ـ تحدث عن مجالس الذكر في مدينة الرسول .

٤ ـ من هم القراء؟

٥ـ احفظ قوله تعالى : وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

❖استعمل الكلمات التالية في جمل مفيدة :

اجر ، العلم ، النبي ، حسد ، صخب ،

(٢)

المنارة تتحدث

(١)

خرجت يوما من مدينة دهلي أروح نفسي من صخب الأسواق ، وعناء الأشغال ، وذهبت إلى منارة قطب الدين خارج دهلي .

ورأيت هذه المنارة الشامخة ، فإذا هي آية في الهندسة و البناء ، مبنية من الحجارة الصلبة الحمراء ، تنطق بعظمة القدماء .

وبينما أنا أدور حول هذه المنارة بين قبور وقصور ، وأفكر في ضعف الإنسان وقوة البنيان ، إذا صوت يرن في أذني ، ويقول : " أيها الرجل ! اسمع " .

والتفت فلم أر أحدا ، وسرحت طرفي فإذا المكان هادئ ، ليس هنا داع ولا مجيب ، وليس هنا إلا الحجارة الصماء البكماء.

وإذا صوت يتردد : "أيها الرجل ! اسمع " فأصغيت إلى هذا الصوت ، وقد دنوت من المنارة ، فرأيت عجبا .

رأيت عجبا إذ سمعت المنارة تتكلم ، فقلت : لم أر كاليوم حجارة تنطق ، ومنارة تتحدث!

وإذا صوت أجهر و أوضح من قبل : اسمع أيها الرجل ، ولا تخف ، فقد أنطقني الله الذي أنطق كل شيء ، هنالك وقفت أستمع لهذا الصوت ، فإذا المنارة تقول :

أنا واقفة هنا منذ أكثر من سبعة قرون ، لم أبرح مكاني ساعة ، ولم أغمض عيني طرفة ، أشاهد تقلبات الزمان ، وتحول الملك والسلطان ، كأني قطب يدور حولي رحى الحوادث.

وقد رأيت في هذه المدة من العجائب ما أضحكني قليلا ، ومن المحزنات ما أبكاني طويلا ، ولولا أن قلبي من حجر لانشق حزنا .

و لا انكر أني رأيت في هذه المدة ملوكا عادلين ، و رجالا من العلماء والصالحين ، قرت بهم عيني ، وزالت بهم أحزاني .

وها أنا أقص عليك خبري ، وما جرى في هذه البلاد بين سمعي و بصري .

سمعت أن السلطان محمود الغزنوي هو الذي فتح هذه البلاد للإسلام ، ودوخها من الشمال إلى الجنوب ، وهزم الأحزاب والجنود المجندة لملوك الهند ، فكان برهانا على أن الإيمان يغلب العدد ، وذلك في فجر القرن الخامس الهجري .

و بعد قرن ونصف غزا الهند السلطان شهاب الدين الغوري ، و هو الذي رسخت به قدم المسلمين في هذه البلاد ، و قامت لهم دولة مستقلة .

ولكن الذي فتح هذه البلاد في الحقيقة ، وأخضعها للإسلام هـو الرجل الصالح الشيخ معين الدين الجشتي ، الذي اهتدى به إلى الإسلام ألوف من المشركين ، و كان دعاؤه سلاحا للغوري و جُنة .

أنا أقول: : "سمعت" لأني لم أكن في تلك الأيام ، فأنا وليدة القرن السابع ، فقد بناني قطب الدين منارة لجامع : " قوة الإسلام " و تم بنائي على يد شمس الدين ، و بقيت فريدة منذ ولدت .

ومن حسنات الإسلام أنه جعل العبيد سادة ، والمماليك ملوكا ، فقد خلف الغوري مملوكه قطب

الدين ، وخلفه مملوكه شمس الدين ، واستمرت دولة المماليك (٨٧)سنة جاء في خلالها ملوك يتجمل تاريخكم بهم ، كالقائد قطب الدين أيبك ، والملك الصالح ناصر الدين محمود بن التمش ، والملك العادل غياث الدين بلبن .

وفي عصر السلطان شمس الدين كان في دهلي الشيخ الكبير قطب الدين بختيار الكعكي ، وطالما رأيت السلطان شمس الدين يدخل عليه في الليل ، و يخدمه ، و يغمز رجليه ، و يبكي .

و انقرضت دولة سادتي المماليك ، والأرض لله يورثها من يشاء ، وجاء الخلج ، ورأيت من غرائب الإنسان عما كريما يقتله ابن أخيه و ختنه .

ولكن علاء الدين بعد ما قتل عمه جلال الدين ضبط البلاد ، وسن القوانين ، وعين الأسعار ، وبسط الأمن ، وأوغل في الهند.

وقضي على الخلجيين بالزوال بعد (٣١)سنة ، سنة الله في الأرض ، و ورثهم آل تغلق ، و كان منهم ملك غريب الأخلاق ، أعني محمد تغلق ، الملك العاقل

المجنون ، الذي أراد أن يحول العاصمة إلى دولت آباد ، ولكن الله رحم وحشتي ، ولم يفلح الملك .

و خلفه شاب صالح من بيته اسمه فيروز ، الذي بني المساجد و المدارس ، و أنشأ الشوارع و الرباطات ، و رد المظالم .

وفي هذا العهد كان العبد الصالح الشيخ نظام الدين البدايوني ، وكانت له زاوية عامرة يؤمها مئات من الطالبين ، فكانت إمارة روحية في جنب إمارة مادية ، تفوقها في السلطان على القلوب .

حكم آل تغلق (١٣٥) سنة ، مدة طويلة ، ثم طوي بساطهم ـ و الحكم لله ـ وآل الأمر إلى اللودهيين ، وكان أوسطهم سكندر اللودهي ، وكان عادلا فاضلا ، يحب العلم والعلماء .

وفي هذا العهد ازدهرت مدينة جون بور ، و بلغت أوجها في عهد إبراهيم شاه الشرقي (٨٠٤ هـ-٨٤٤هـ) و كنت أسمع أحاديث ملكها ، وأخبار علمائها كملك العلماء القاضي شهاب الدين الدولت آبادي ، والشيخ أبي الفتح بن عبد المقتدر الدهلوي ، و قصص جوامعها و مدارسها .

وازدهرت كذلك مدينة "أحمدآباد" وفاقت الهند بملوكها الراشدين ، وعلمائها المحدثين ، وبصنائعها ، وكثرة جنانها ، وحدائقها ، وحسن نظامها ، وكنت أسمع أخبار محمود شاه و ابنه مظفر شاه الحليم (٨٦٢ هـ ـ٩٣٢هـ) فكأني أسمع أخبار رجال خير القرون .

❖ **الأسئلة :**

١ـ من الذي أنطق المنارة ؟

٢ـ بأي لسان تحدثت المنارة ؟

٣ ـ اذكر أسماء الملوك العادلين.

٤ـ في أي عهد ازدهرت مدينة جونفور؟

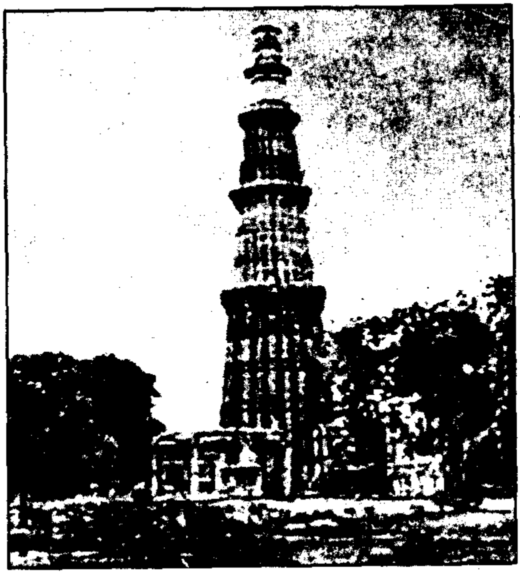
٥ ـ بين معنى الكلمات التالية واستعملها في الجمل المفيدة :

عناء ـ سرّحت ـ الشامخة ـ لم أبرح ـ دوّخ ـ انقرضت ـ يغمز.

٣

المنارة تتحدث

٢



وفي عهد إبراهيم اللودهي سنة (٩٣٣هـ)جاء بابر ، وهو من آل تيمور من كابل ، وكسر جنود اللودهي ، وهي مئة ألف مقاتل في ساحة باني بت باثني عشر ألف مقاتل ، فكان برهانا على أن العزيمة تغلب الكثرة ، وأسس دولة المغول ، التي لها دوي في العالم ، وآثار خالدة في "الهند" .

وفي عهد ابنه همايون نهض شير شاه السوري، فطـرد همايـون إلى "إيران" و أسس دولـة منظمـة لم تسبق ، وعمل أعمالا جليلة ، لو وزعت على عدة ملـوك لوسعتهم ، فأنشأ شـارعا مسيرته أربعـة أشهر ، و غرس عليه الأشجار، وبنى عليه المنازل والمساجد ، وذلك كله في خمس سنوات ، ولا أزال أغبط "سهسرام" إذ كانت عاصمته ومدفنه ، وهنا تخلفت دهلي ، و سبقتها مدينة صغيرة .

وخلف همايون الذي استرد ملكه بمساعدة شاه إيران ابنه الأمي أكبر .

وهو الذي مرق من الإسلام ، واخترع دينا جديدا وعاند المسلمين ، وقد أنجاني الله من مصاحبته ، إذ اتخذ " آكره " عاصمته .

وخلفه ابنه جهانكير ، وكان أفضل من أبيه ، ودون ابنه وحفيده ، واضمحلت آثار أكبر في عهده .

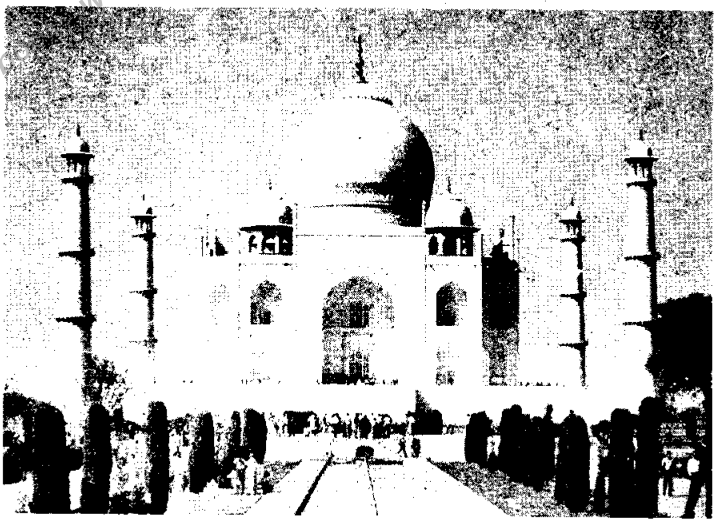
وفي هذا العصـر نهض المصلـح الكبيـر الشيـخ أحمد

السرهندي المجدد (م١٠٣٤هـ) فقلب التيار ، وغير الله به الليل والنهار ، وانتصر به الدين ، وزالت به دولة المبتدعين .

وفي هذا العصر سعدت الهند أيضا بوجود عالم كبير ، خدم علم الحديث ، وصنف ، ودرس طويلا ، وهو العلامة عبد الحق البخاري (م١٠٥٢هـ) وأنا سعيد بأنه لايزال في جواري .

وخلف جهانكير ابنه شاه جهان ، وهو صاحب الآثار الجميلة في الهند ، بني جامعا في دهلي من أجمل مساجد المسلمين في العالم ، وبنى القلعة الحمراء ، وبنى على قبر زوجه التاج محل ، وهي الدرة اليتيمة في البناء ، وما وددت أن أبرح من مكاني إلا لأراه .

وخلف شاه جهان ابنه السلطان أورنك زيب عالمكير ، وهو رجل هذا البيت الرشيد ، فأمر بتدوين الفقه ، وأبطل المكوس والمظالم عن المسلمين ، وضرب الجزية على المشركين ، ونصب المحتسبين ، وأقام دولة العلم والدين .



تاج محل

ومن سوء حظ المسلمين في هذه البلاد أن خلفاء أورنك زيب لم يكونوا رجالا أكفاء في الدين والسياسة، فأصبحت السياسة هزلا ، والدولة ألعوبة ، ملوك يحكمون صباحا و يقتلون مساءا، و يستبدلون كالخلقان من الثياب .

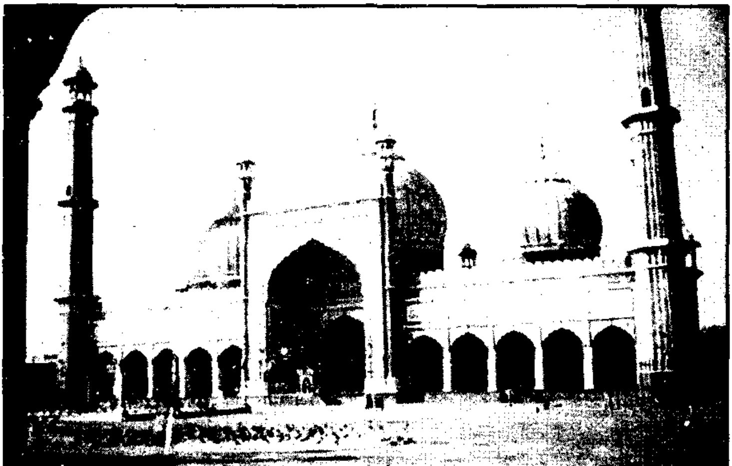
ولا أضيع وقتك الثمين في سرد أسمائهم الفارغة .

وهنا رأيت ما أبكاني ، فقد فسدت أخلاق المسلمين في هذا العصر ، فشا فيهم الفجور ، وعمت الخمور ، وكثرت الملاهي ، وأقبل الناس على اللهو واللعب ،

والرقص ، و الغناء ، فكأن لم يبعث نبي ، ولم ينزل كتاب ، و الناس في جاهلية .

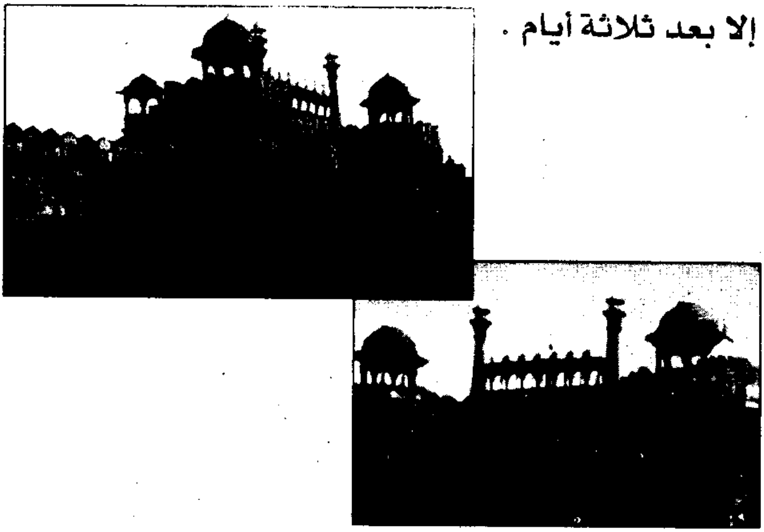
و كنت أذكر قول الله تعالى : " وَ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيْهَا فَفَسَقُوْا فِيْهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنٰهَا تَدْمِيْراً " وأخاف بطشه .

وفي عهد محمد شاه (م١١٦١هـ) بلغ السيل الزبي ، وطم الوادي على القرى ، فبعث الله على دهلي عبادا له أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار .



جامع شاه جهان في دهلي

جاء نادر شاه سنة (١١٥١هـ) من إيران ، فوضع فيهم السيف ، وبلغ القتلى من الهنديين في دهلي مئة ألف ونيفا ، وسالت بدمائهم الشوارع ، ولم يغمد السيف إلا بعد ثلاثة أيام .



القلعة الحمراء في دهلي

ولم يفق أهل دهلي والمسلمون من سكرتهم ، فاجتمع عليهم المرهتة والسكه اجتماع الأكلة على القصعة ، وفي كل يوم غارة ، ونهب ، وسلب ، وإهانة ، وجلاء ، فخربت قرى كثيرة ، وهدمت مساجد ذكر فيها اسم الله كثيرا ، وعجز المسلمون عن مقاومتهم ، ودخل في قلوبهم الجبن ، والخوف .

هنالك رحم الله هذه الأمة الهندية ، فبعث لها أحمد شاه الأبدالي من أفغانستان سنة (١١٧٤هـ)فنازل المرهتة في ساحة باني بت ، وقتل منهم نحو مأتي ألف ، وهزمهم هزيمة لم تقم لهم بعدها قائمة .

و في هذه الأيام العقيمة أنجبت دهلي رجلا عظيما ، و هو الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم ، فنادى بالمسلمين إلى الدين ، و انتقد الأمراء الجائرين ، والشيوخ المبتدعين ، وخرج العلماء الراسخين ، والدعاة المخلصين ، و صنف الكتب البديعة في علوم الدين .

وشمر هو و أبناؤه النجباء الشيخ عبدالعزيز ، والشيخ رفيع الدين ، والشيخ عبد القادر ، وابن ابنه الشيخ إسماعيل - دفين بالاكوت - عن ساق الجد في خدمة الدين ، فمن مترجم للقرآن ، و من شارح للحديث ، ومن فقيه يضرب إليه أكباد الإبل ، ومن مزك للنفوس ، ومن مدرس للحديث الشريف ، ومن مجاهد بالسيف وشهيد في سبيل الله ، ومن مهاجر إلى بيت الله ، والهند تباهي بهذا البيت الشريف الأقطار الأخرى ؛ وتنشد :

أولئك أبنائي فجئني بمثلهم

إذا جمعتنا يا جرير المجـامع

❖ الأسئلة :

١ ـ من الذي طرد همايون إلى إيران ؟

٢ ـ اذكر بعض مكارم شير شاه السوري .

٣ ـ كيف كان الملك أكبر ؟

٤ ـ ماهى المآثر الحسنة التي تركها عالمكير .

٥ ـ استعمل الكلمات الآتية في جمل اسمية :

ساحة، دوى ، الآثار ، الملاهي ، ألعوبة .

٤

المنارة تتحدث

٣

أراك يا سيدي قد سئمت حديثي و طول القيام هنا، فاصبر قليلا لعلي أخفف عن نفسي بعض ما أجده من الحزن .

نسيت أن أذكر لك أن الإنكليز قد دخلوا الهند في القرن السادس عشر المسيحي تجارا و أسسوا شركة

تجارية سموها الشركة الهندية الشرقية، و كانت بذرة فساد أغفلها الملوك المسلمون في بساطتهم و حسن ظنهم، وبقيت هذه الشركة تشتغل بالتجارة حتى اضطرب حبل الدولة المغولية فطمع رجالهاإلى الملك والسياسة، و صاروا يتدخلون في الأمور ، و يحرشون بين الأمراء ، و يضربون بعضهم ببعض ، وينتهزون فرصة بعد فرصة ، حتى أصبحوا قوة في الهند .

و لم يزل أمر الإنكليز يقوى ، وأمر الهنديين يضعف حتى أخذوا في الجنوب "كرناتك" وفي الشرق "كلكتة" و ذلك كله بمال الهند و رجالها، لم يبذلوا في سبيل ذلك درهما ، ولا دما من قبل أنفسهم .

وقد عني بأمر الإنكليز فتى شهم ؛ وهو النواب سراج الدولة أمير "مرشدآباد" ، وكانت بينه وبين الإنكليز وقعة في بلاسي سنة(١١٧١ هـ ١٧٥٧م) غدر فيها الوزير مير جعفر، وانسل إلى الإنكليز فانهزم سراج الدولة، وانتقلت مقاطعة "بنكال" إلى الإنكليز .

واجتهد الأمراء مرة ثانية ، واجتمع مير قاسم ختن مير جعفر، أمير " مرشدآباد" وشاه عالم "ملك

دهلي" والنواب شجاع الدولة ، أمير "أوده" بجنوده الكثيفة ، وقاتلوا الإنكليز، وهم أقل منهم عددا، ولكن أحسن منهم نظاما، فانهزم الهنديون ، و انكسروا في ساحة بكسر سنة (١١٧٨هـ ـ ١٧٦٤م) فكان برهانا على أن النظـام يغلب الزحام ، و كانت للإنكليز اليد العليـا ، و الكلمة النافذة ما بين "كلكتة " و "دهلى " .

ثم قام الفتى الأبي الغيور السلطان تيبو أمير ميسور، وقاتل الإنكليز قتالا شديدا، و هزمه الإنكليز بقوة المسلمين والمرهتة سنة (١٢١٤هـ ـ ١٧٩٩م) وغدر الوزير مير صادق ، وانسل إلى الإنكليز، ومات السلطان الشهيد في ساحة القتـال موت الأبطال مدافعا عن دينه و وطنه .

و أراد الله أن يبتلي أهل الهند، فمنحهم فرصة أخرى ، فنهضت عصابة من الشبان المخلصين ، يقودها فتى من أهل بيت الرسول ﷺ قد جاء من الشرق ، كنت أراه كثيرا في مدرسة الشيخ عبد العزيز ـ رحمة الله عليه ـ و مسجد الشيخ عبد القادر ، واشتهر سريعا باسم السيد أحمد ، و تهـافت عليـه النـاس من كل جانب ،

و بايعه محمد اسماعيل ابن أخي الشيخ عبد العزيز ـ رحمة الله عليه ـ و عبد الحي ختن الشيخ ، وعالم "دهلي" الكبير، والعلماء والصلحاء وطاف هؤلاء في البلدان والقرى . و بثوا دعوة الرجوع إلى الدين والتمسك بالكتاب والسنة ، وأشعلوا في الصدور شعلة الجهاد، و اجتمع حولهم أناس هم خير من وقعت عليهم عيني دينا و عبادة ، و خلقا ومعاشرة ، وغيرة وحماسة ، فكانوا بالليل رهبانا وبالنهار فرسانا، وفي الدين أبدالا، وفي القوة أبطالا .

و هاجر هؤلاء سنة (١٢٤١هـ) إلى ثغور الهند ، و رفعوا راية الجهاد ضد السكه، و بايع الناس إمامهم السيد أحمد، و كانت الحرب بينهم وبين السكه سجالا، وسمعت بعد قليل أنهم فتحوا أرضا واسعة، وأسسوا إمارة على منهاج الخلافة الراشدة ، ونفذوا فيها أحكام الشرع ، و أقاموا الصلاة ، و آتوا الزكاة ، و أمروا بالمعروف ، و نهوا عن المنكر، و فتحوا بيشاور عاصمة الثغور ، فعظم شأنهم ، وكاتبوا أمير بخارى ، وجترال ، وأمراء أفغانستان ، وكانوا يريدون أن يقيموا دولة شرعية مستقلة في الهند .

كنت أسمع ذلك كله ، والناس يفرحون ، وأنا أخاف لأني لم أكن آمن عليهم من المسلمين الغدر والخيانة ، و هما من أمراض المسلمين ، و لم تذهب دولتهم إلا بغدر المسلمين و خيانتهم ، ونفاقهم - و سامحني يا سيدي في هذا العتاب المر فلي العذر - و كنت أخاف ذلك خاصة في تلك البلاد ، و لم تمض يا سيدي أيام قليلة حتى وقع ما كنت أحذره ، فقد سمعت أنه غدر بهم الأمراء الأفغان، و قتلوا نوابهم و عمالهم سجدا وقياما، وسمعت أنهم الآن في طريقهم إلى كشمير.

ثم سمعت بعد أيام أنهم دهمهم العدو في وادي بالاكوت في جبال هزارا، و ذلك بدسيسة بعض المسلمين أيضا، و قتل أكثرهم ، ولم ينج منهم إلا القليل، وكانت هذه الحادثة الأليمة سنة (١٢٤٦هـ).

وهكذا ضاعت هذه الفرصة الثمينة، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

و أعود إلى حديث الإنكليز و أقول : إنهم اختلقوا ذنوبا على الأمراء ، كما سمعت في قصة الذئب

و النعجة ، و انتزعوا " بنجـاب" و "السند" و " بورمـا" و " أودهـ " و امتلكوها .

و انتبه الهنديون من سباتهم ، و اجتهدوا أن يتخلصوا من الإنكليز سنة (١٨٥٧م) .

فكانت ثورة كبيرة ، ولكن فشلت أيضا بسوء نظام الهنديين ، و رسخت قدم الإنكليز، و عاقبوا الهنديين عقابا شديدا، وعذبوهم عذابا أليما ، و فتكوا بالبيت الملكي فتكا شديدا، و أسروا بهادر شاه ، و نفوه إلى "رنكون" .

ومن ذلك اليوم أفل نجم المسلمين في هـذه الديار و انحطوا في الدنيا والدين ، و رضوا بالذل و العبودية ، و فسدت الأخلاق ، و سقطت الهمم ، و ضـاقت الأرزاق ، و غلت الأسعـار ، و عمت المجاعـات ، و عطلت المـدارس ، و أقفرت الزوايا ، و أوحشت المساجد.

وفي سنة (١٩٤٧م) تحررت البلاد من الإنكليز ، ووقعت اضطرابات هائلة ، وهاجر كثير من المسلمين من بلادهم ، و قامت لهم دولة في شمالي الهند الغربي ،

و بقي سائرهم في الحكومة الهندية ، و قد فقدوا نشاطهم ، و استولى عليهم اليأس .

و لست قانطا يا سيدي من رحمة الله : " وَ هَلْ يَقْنَطُ مِنْ رَّحْمَةِ رَبِّهِ إلاَّ الضَّالُّوْنَ " .

ولم أيأس من نهضة المسلمين، فإني رأيتهم طول هذه المدة كالشمس إذا غربت في جهة طلعت في جهة أخرى ، و أنهم لم يغب لهم نجم إلا وطلع لهم نجم آخر، فإن مستقبل العالم معقود بناصيتهم ، وإن الله لا يحب الفساد في الأرض ، ولا يرضى لعباده الكفر .

اقرأ على أمتك مني السلام ، وقل لها : إني أشهد الله أن هذه الأمة ما أفلحت إلا بالتمسك بالدين، وما خسرت إلا بالغفلة عن الدين ، و لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، هذا الذي شهدته و اختبرته في هذه القرون المتطاولة : " وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيْرٍ " .

و لما انتهت المنارة من كلامها ، انصرفت عنها ، و رجعت إلى مكاني ، و بت ليلتي أفكر فيما سمعت ، وبادرت في الصباح فقيدت حديث المساء .

❖ الأسئلة :

١ـ كيف دخل الانكليز في الهند و بسطوا نفوذهم فيها ؟

٢ـ من هذا الفتى الشهم الذى عنى بأمر الانكليز ؟

٣ـ عرف بالإمام السيد أحمد الشهيد بذكر بعض خصائصه .

٤ـ متى تحررت الهند من الإنكليز وماذا حدث بعد ذلك ؟

٥ ـ بدل الأفعال الماضية في السطور الآتية بأفعال طلبية ؟

قنط، رضي ، انتبه ، يجول ، أفكر ، بادرت .

(٥)

عمر بن الخطاب و أم البنين

لدى عمر أمير المؤمنينا	قفوا بي وقفة المتهيبينا
مليك ذو مآثر باسقات	يقصر عن مداها السابقونا
خوالد ما عفت قدما ولكن	يعطر نشر ذكراها القرونا
فمن يمدح لمكرمة فإني	نظمت بمدحه عقدا ثمينا
وهاكم ماروى العباس عنه	أراه بانتباهكم قمينا
يمثل صورة للبؤس فينا	و يملي عبرة للحاكمينا

يقول:لقد دعاني الملك وهنا	فكنت له بجولته خدينا
أفزته محبته لشعب	يعز عليه يوما أن يهونا

سرى متنكرا والليل قر	إلى الأثلات يفتقد الشؤونا
يطوف في الخيام عساه يلقى	بمنزوياتها رهطا حزينا
فمر هناك بامرأة عجوز	حواليها صغار يعولونا
وقدر أركزته على أثاف	غلى عبثا لتعليل البنينا
تقول: ودأبها التنفيخ ! صبرا	بني، ستأكلون و تشعبونا
فظل الملك يمعن ناظريه	بها حينا وبالأولاد حينا
وطال وقوفه في الحي حتى	توجس أن يريب به الظنونا
يمينا ليس يبغي البين حتى	يرى الأولاد قد ملؤوا البطونا
وما زالوا كذلك بضع ساع	تنفخ في الوقود ويصرخونا
فعيل تصبرا، ودنا إليها	وحيا قائلا: ما تصنعينا ؟
وما لبنيك ينتحبون؟ قالت:	جياع ! قال: لم لم يأكلونا؟
أجابت! والمحاجر دامعات	أأطعم صبيتي الماء السخينا
فما في القدر غير حصى وماء	أحاول أنهم يتعللونا
لعلهم متى ملوا انتظارى	وساورهم نعاس يهجعونا !!
فقال لها: لقد أخطأت رأيا	وأورثت الصغار ضنى و هونا
فلم لم تعرضى شكواك يوما	على عمر أمير المؤمنينا؟
إذًا لكفاك مر العيش مما	يجود ولم يكن عمر ضنينا
فقالت: لاسقت عمر الغوادى	ونكس بنده في العالمينا
لقد سمحت بظلمى مقلتاه	و تحميلي الخصاصة والأنينا

فراع فؤاده ما تدعيه وقال لها: بربك أخبرينا
فقالت: قد أمال الطرف عنا ولم يعبأ بما قد حل فينا
أيغفل عن سوائمه مليك يسمي نفسه الراعي الأمينا؟
عليه أن يفتش في الرعايا و يرتاد المزارع و الحزونا؟
عساه أن يرى مثلي عجوزا تبيت الليل تنتظر المنونا
فينعم من خزينته بشيء تعيل به بنيها المدنفينا
فكم عاف يمنعه حياء! فلا يجري مع المتسولينا
يكاد يموت من ظمأ وجوع ولا يبغي أكف المحسنينا
إذا ملك تغاضى عن ذويه فيحسب في عداد الظالمينا
فقال لها: صدقت، فعن قليل نعود بما تيسر، فأنظرينا

وسار وسرت محتذيا خطاه كأن بنا إلى وطر حنينا!
أكر وراءه تحت الدياجي و تنبحنا الكلاب وتقتفينا
إلى بيت المؤنة حيث أمسى هنالك ينبش الذخر الدفينا
وما هو غير لمح الطرف حتى حملت السمن واحتمل الطحينا
وعدنا والدقيق عليه يذرى فعفر عارضيه والجبينا
يكاد ينوء تحت الحمل لكن مشى طول المسافة مستكينا
كأني إذ عرضت يدي عليه ضربت على صفاة لن تلينا
فقال: اصمت فما حملت عني ذنوبي يوم يجزى المذنبونا

إلى الأولاد يا عباس سرْ بي أمد لكشف كربتهم يمينا
أنأكل كل يوم كل لون وهم من جوعهم يتضورونا
و نسرح في ربوع الأنس دوما وهم من جوعهم يتململونا
ونرقد لا نبالي بالبلايا وهم لنبالها مستهدفونا
جفاني عند رؤيتهم رقادي و واصلني صداع لن يبينا
وكدت أحس أن الأرض مادت وجوف الغمر أوشك يحتوينا
إلى الأولاد يا عباس أمحو خطاي و أغسل العار المبينا
فويم الله ما القلل الرواسي كحمل ظلامة المستضعفينا
فأزجينا الخطى في المهل حتى طوينا منه قاحلة شطونا
فأدركنا العجوز على قتاد وقد أغضت من التعب الجفونا
وجفت قدرها فوق الأثافي فكان ثمالها كدرا وطينا.
فأفرغها، و أفعمها دقيقاً بيمناه، ودس به السمونا
وكاد الوقد تحت القدر يخبو فأولج في بقاياه غصونا
مكبا لا يثبطه دخان تناول منخريه والعيونا
يجيد الطبخ تحريكا وغليا كأنك تشهد الطاهي الفطينا
فأنضجه ونحن بجانبيه أبى إصراره أن يستعينا
و أسرع. والبشاشة ملء فيه . بتلقيم الصغار الجائعينا
يتامى ما حنا أحد عليهم ولا عرفوا سواه أبا حنونا
ومال إلى العجوز فقال: مهلا أقلي اللوم والتزمي السكونا

سنذكر للأمير بلاك إنا | إلى عرش الإمارة منتمونا
كفاك كآبة وطوى وسهدا | فنامي ملء جفنك وأصبحينا

وكان غد لدى عمر رهيبا | عليها حيث أدركت اليقينا
لدى عمر، وقد رشقت سهاما | من التنديد بات بها طعينا
فيالك موقفا حرجا تمنت | لشدة روعها ألا تكونا
ولكن نالها منه التفات | نفى عنها التأثر و الشجونا
فأجزل رفدها بعد اعتذار | و بدل شدة الأيام لينا
فراحت وهي تروي عنه عدلا | وإحسانا وفرط تقى و دينا

كذا كان الخليفة من قديم | مثالا للملوك الصالحينا

(الأستاذ جرجي نخلة سعد)

❖ الأسئلة :

١ـ بم اشتهر عمر بن الخطاب ؟
٢ـ ما قصة المرأة العجوز مع صغارها الجائعين ؟
٣ـ كيف اكتشف عمر حاجة المرأة العجوز ؟
٤ـ من حمل كيس الدقيق ؟ ولماذا ؟
٥ـ متى ارتسمت البشاشة على وجه عمر بن الخطاب ؟
٦ـ اذكر قصة عن ملك عادل

(٦)

الإمام أبو حامد الغزالي

ولد أبو حامد محمد الغزالي بطوس سنة (٤٥٠هـ) وكان والده يغزل الصوف، و يبيعه في دكانه بطوس، و كان فقيرا صالحا، لا يأكل إلا من كسب يده، و يطوف على المتفقهة، ويجالسهم، وينفق عليهم بما يمكنه، و كان إذا سمع كلامهم بكى، و تضرع، وسأل الله أن يرزقه ابنا فقيها واعظا، فاستجاب الله دعوته، ولما حضرته الوفاة وصى به، و بأخيه أحمد إلى صديق له من أهل الخير، فلما مات أقبل الرجل على تعليمهما إلى أن فني ذلك الذي خلفه لهما أبوهما، فقال لهما: اعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما، و أنا رجل فقير، لا مال لي، فأرى أن تلجآ إلى مدرسة، فإنكما من طلبة العلم، فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما، ففعلا ذلك، و كان هو السبب في سعادتهما، و علو درجتهما.

قرأ الغزالي في صباه طرفا من الفقه ببلده على أحمد بن محمد الراذكاني ، ثم سافر إلى جرجان إلى الإمام أبي نصر الإسماعيلي ، و علق عنه التعليقة ، ثم رجع إلى طوس ، قال الغزالي ، قطعت علينا الطريق ، و أخذ العيارون جميع ما معي ، و مضوا ، فتبعتهم فالتفت إليّ مقدمهم ، و قال : ارجع ويحك ، و إلا هلكت ، فقلت له: أسألك بالذي ترجو السلامة منه أن ترد علي تعليقتي فقط ، فما هي بشيء تنتفعون به ، فقال لي: وما هي تعليقتك ؟ فقلت : كتب في تلك المخلاة ، هاجرت لسماعها ، و كتابتها ، و معرفة علمها ، فضحك و قال : كيف تدعي أنك عرفت علمها وقد أخذناها منك، فتجردت من معرفتها ، وبقيت بلا علم؟! ثم أمر بعض أصحابه فسلم إلي المخلاة ، قال الغزالي : هذا مستنطق أنطقه الله ليرشدني به في أمري ، فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين ، حتى حفظت جميع ما علقته ، و صرت بحيث لو قطع علي الطريق لم أتجرد من علمي ٠

وقدم الغزالي " نيسابور" ولازم إمام الحرمين، وجد، و اجتهد حتى برع في المذهب ، و الخلاف ، و الجدل ، و الأصلين ، و المنطق ، و قرأ الحكمة ، و الفلسفة ، و أحكم كل ذلك ، و فهم كلام أرباب هذه العلوم ، و تصدى للرد عليهم و إبطال دعاويهم ، و صنف في كل فن من هذه العلوم كتبا جليلة .

ولما مات إمام الحرمين خرج الغزالي إلى " المعسكر" قاصدا الوزير نظام الملك ، إذ كان مجلسه مجمع أهل العلم، فناظر الأئمة والعلماء في مجلسه ، و قهر الخصوم ، و ظهر كلامه عليهم ، و اعترفوا بفضله ، وتلقاه الصاحب بالتعظيم والتبجيل ، و ولاه تدريس مدرسة ببغداد، وأمره بالتوجه إليها، فقدم بغداد في سنة (٤٨٤هـ) و درس بالنظامية ، و أعجب الخلق حسن كلامه ، و كمال فضله ، و فصاحة لسانه ، و نكته الدقيقة ، و إشاراته اللطيفة ، و أحبوه .

و أقام على تدريس العلم و نشره بالتعليم ، والفتيا، و التصنيف مدة ، عظيم الجاه ، زائد الحشمة ، عالي الرتبة ، مسموع الكلمة، مشهور الاسم . وعلت

حشمته و درجته في بغداد حتى كانت تغلب حشمة الأكابر، و الأمراء، و دار الخلافة.

ثم تبرمت نفسه مما كان فيه من الجاه، وكثرة الطلبة، والاقتدار على العلوم وتدريسها، واعتراه شك في العلوم ، وظهر له أنه لامطمع في سعادة الاخرة إلا بالتقوى ، وكف النفس عن الهوى ، والإقبال على الله تعالى ، وأن ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن الجاه والمال ، وفكر في نفسه ، فإذا هو مقبل على علوم غير مهمة ، ولا نافعة في طريق الآخرة ، وتفكر في نيته ، فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى ، فتيقن أنه على خطر ، ولم يزل يفكر في مفارقة بغداد وترك التدريس قريبا من ستة أشهر ، و أورث ذلك حزنا في القلب بطل معه الهضم ، وتعدي إلى ضعف القوى ، حتى يئس منه الأطباء ، و أشاروا عليه بالترويح ، و خف عليه الإعراض عن الجاه و المال ففارق بغداد ، و فرق ما كان معه من المال ، ولم يدخر إلا قدر الكفاف ، وحج البيت الحرام ، ثم دخل الشام ، و أقام به قريبا من سنتين ، لا شغل له إلا العزلة ، والخلوة ، والرياضة ، والمجاهدة ، اشتغالا

بتزكية النفس ، وتهذيب الأخلاق ، وتصفية القلب لذكر الله تعالى ، ثم توجه إلى بيت المقدس ، فجاور به مدة ، ثم إلى دمشق ، واعتكف بالمنارة الغربية من الجامع ، و صنف التصانيف المشهورة التي لم يسبق إليها ، مثل : إحياء علوم الدين ، و صادف دخوله يوما المدرسة الأمينية فوجد المدرس يقول : قال الغزال ، وهو يدرس من كلامه ، فخشي الغزالي على نفسه العجب ، ففارق "دمشق" وأخذ يجول في البلاد ، فدخل منها إلى مصر ، وتوجه منها إلى الإسكندرية ، فأقام بها مدة ، و استمر يجول في البلدان ، و يزور المشاهد ، و يروض نفسه ، ويجاهدها ، واستفاد من صحبة الشيخ أبي على الفارمدي ، و انكشفت عليه علوم وحكم ، و علت مداركه ، و عاد إلى الوطن ، و آثر العزلة.

والزم بالعود إلى نيسابور والتدريس بها في المدرسة النظامية ، فأجاب إلى ذلك بعد تكرار المعاودات ، ودرس مدة يسيرة ، و كل قلبه معلق مما فتح عليه من الطريق ، ثم رجع إلى مدينة طوس ، و اتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء ، و زاوية للصوفية ، و وزع أوقاته

على وظائف من ختم القرآن ، و مجالسة أرباب القلوب ، و التدريس لطلبة العلم ، و إدامة الصلاة و الصيام وسائر العبادات ، بحيث لا تخلو لحظة من لحظاته ، و لحظات من معه عن فائدة ، إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى في يوم الاثني ١٤/جمادى الآخرة سنة ٥٠٥هـ .

قال أخوه أحمد: لما كان يوم الخميس وقت الصبح توضأ أخي أبوحامد ، و صلى ، و قال: علي بالكفن ، فأخذه ، و قبّله ، و وضعه على عينيه ، و قال: سمعا و طاعة للدخول على الملك ، ثم مد رجليه ، و استقبل القبلة ، و مات قبل الإسفار .

وكانت خاتمة أمره إقباله على حديث الرسول ﷺ و مجالسة أهله ، و مطالعة الصحيحين البخاري و مسلم ، و مات و كتاب الصحيح للبخاري على صدره .

كان الغزالي ـ رحمه الله ـ شديد الذكاء، سديد النظر ، عجيب الفطرة ، عالي الهمة ، مفرط الإدراك ، قوي الحافظة ، بعيد الغور ، غواصا على المعاني الدقيقة ، مناظرا قوي الحجة.

❖ **الأسئلة :**

١ ـ متى ولد أبو حامد الغزالي ؟ وأين ؟

٢ ـ ماذا تعلم الغزالي في صباه ؟

٣ ـ اذكر ثلاث صفات اشتهر بها الغزالي ؟

٤ ـ سم كتابا ألفه الغزالي .

٥ ـ متى توفي أبو حامد الغزالي ؟

❖ **ضع كل كلمة مما يلي في المكان المناسب لها :**

(النفس ، التدريس ، الحجة ، ختم ، الأخلاق، الذكاء)

ـ اشتغل الغزالي بتزكية .... ..و تهذيب ... ..

ـ وزع أوقاته على وظائف من .... القرآن و .....

ـ كان الغزالى شديد ... .قوي ... .

⑦

بين والد جندي وولـــد فقيـــه

خرج فروخ أبو عبد الرحمن في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية غازيا، و ولده ربيعة حمل في بطن أمه ، و خلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار ، فقدم المدينة بعد سبع و عشرين سنة ، و هو راكب فرسا ، في يده رمح ، فنزل عن فرسه ، ثم دفع الباب برمحه ، فخرج ربيعة ، فقال له : يا عدو الله! أتهجم

على منزلي ؟

فقال : لا ·

وقال فروخ : يا عدو الله! أنت رجل دخلت على حرمتي ·

فتواثبا ، وتلبب كل واحد منهما بصاحبه ، حتى اجتمع الجيران فبلغ مالك بن أنس والمشيخة ، فأتوا يعينون ربيعة ، فجعل ربيعة يقول : والله لا فارقتك إلا عند السلطان ، وجعل فروخ يقول : والله لا فارقتك إلا بالسلطان ، و أنت مع امرأتي ، و كثر الضجيج .

فلما بصروا بمالك سكت الناس كلهم ، فقال مالك : أيها الشيخ لك سعة في غير هذه الدار، فقال الشيخ : هي داري وأنا فروخ مولى بني فلان ، فسمعت امرأته كلامه فخرجت فقالت : هذا زوجي ، و هذا ابني الذي خلفته و أنا حامل به ، فاعتنقا جميعا وبكيا ، فدخل فروخ المنزل ، و قال : هذا ابني ؟

قالت : نعم !

قال : فأخرجي المال الذي لي عندك ، وهذه معي أربعة آلاف دينار .

فقالت : المال قد دفنته ، و أنا أخرجه بعد أيام .

فخرج ربيعة إلى المسجد ، و جلس في حلقته ، و أتاه مالك بن أنس ، و الحسن بن زيد ، و ابن أبي علي اللهبي ، و المساحقي ، و أشراف أهل المدينة ، و أحدق الناس به ، فقالت امرأته : اخرج صل في مسجد الرسول ﷺ ، فخرج فصلى ، فنظر إلى حلقة وافرة ، فأتاه فوقف عليه ، ففرجوا له قليلا، و نكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره ، و عليه طويلة ، فشك فيه أبو عبد الرحمن ، فقال : من هذا الرجل؟

فقالوا له : هذا ربيعة بن أبي عبدالرحمن .

فقال أبوعبد الرحمن : لقد رفع الله ابني ، فرجع إلى منزله ، فقال لوالدته : لقد رأيت ولدك في حالة ما رأيت أحدا من أهل العلم و الفقه عليها .

فقالت أمه : أيما أحب إليك ، ثلاثون دينارا ، او هذا الذي هو فيه من الجاه ؟

قال : لا والله ، إلا هذا .

قالت : فإني أنفقت المال كله عليه ،

قال : فوالله ما ضيعته .

(تاريخ بغداد للخطيب : ج ٨، ص ٤٢١ ـ ٤٢٢)

❖ الأسئلة :

١ ـ إلى اين خرج فروخ ؟

٢ ـ كم ترك عند زوجته من المال ؟

٣ ـ كيف ربت زوجة فروخ ابنها ربيعة ؟

٤ ـ على اى شيء صرف المال كله ؟

٥ ـ ماذا قال فروخ عندما علم بأن المال قد أنفق بأجمعه على تربية ابنه ؟

خذ كلمة من السطر الأول مع ما يناسبها من السطر الثاني لتكون جملة مفيدة :

رمح تربية كثر حلقة

الضجيج وافرة صالحة طويل

(٨)

فاكهة الهند

إن كنت تبغي أطيب اللذات
فعليك صاح بأنبه الثمرات

في حسن مرأى في نباهة سيرة
في لطف ذات في سمو صفات

ياحسن حمرتها وخضرتهاوصفر
تها على الأشجار في الروضات

و تـرى ثمـارا علقت فـي غـصننهـا
مـختـوم راح فـي أكـف سقـاة
لم يختلف كمثالها الأثمار في
الألــوان والأذواق والهيئــات
هـذا، ولا تـحـسبـه صـنفـا واحـدا
بل جملة الأصناف مختلفات
سبحان من بالفضل فضلها على
أشـهى مذوقـات ومشمومـات
بـالجـامعيـة فـاقـت الأثمـار كـا
لإنسـان فـاق جميـع حيـوانـات
جـل القـديـر مـن فـي ثـمـــرة
بالصنع يجمع سائر الثمرات
وإذا تجـلى فـي الغـصـون رأيتـه
دانى الصفات بعيد موصوفات
لله در بهـائهـــا و وفـائهـــا
من غصنهـا تنفـك بالعبـرات
للمـــرء فيـه منتهى حـاجـاتـه
تغنيــه عن مـاء وعن أقـوات
وإذا دعـــاك الله صـــاح فـواتــه
و تمتعـن بــه قبيـل فـوات

فإذا انقضت أيامه كالبرق لا
يجديك حينئذ سوى الحسرات
لا غرو إن قصرت مداها إن أيام
السرور تمر كالساعات
ياصاح ما هذا الجمود فقم بنا
نخرج إلى الأنهار والدوحات
فالغيم تبكي مثل صب هائم
والبرق يضحك نحو مبتسمات
والورق يصفق باتفاق غصونها
والطير يسجع باختلاف لغات
أو ما ترى الماء المبارك كيف
أنبت سائر الأزهار والحبات
فدع التنسك ساعة بخلاعة
نقضي فرائض هذه الأوقات
نلهو و نترامى الثمار وجوهها
وقشورها ببدائع الحركات
نفري شرور الدهر عنا يومنا
بترنم يحيى العظام رفات
ولئن يلمك اللائمون فقل لهم
الاضطرار يبيح محظورات

(الشيخ ذوالفقار علي الديوبندي)

❖ الأسئلة :

١- انشد الأبيات التي أعجبتك من هذه القصيدة .

٢ - اذكر محاسن الأنبج .

٣- ماهو الفصل الذي يوجد فيه الأنبج .

٤ - اذكر البيت الذي يشير إلى أن فصل الأنبج قصير .

٥ - اذكر خمسة تشبيهات وردت في القصيدة .

(٩)

حديث القمر

(١)

كانت السماء مصحية لا غيم فيها ، و الليلة مقمرة ، و كان هشام يطالع القمر كأنما يطالع فى كتاب .

و كان أبوه يرى ذلك فى الليالى المقمرة فأراد أن لا يضيع هذا النظر و لا يخلو من درس .

قال الوالد: يا هشام ! أراك تنظر إلى القمر طويلا كأنك تتمتع بمنظره .

هشام :- نعم يا أبى إن منظره جميل جدا لا أكاد أملأ عينى منه ، ولو قدرت لصعدت إليه بسلم .

الوالد: وكم تقدر بعده ياهشام و أى سلم أو منارة تراها تكفيك للصعود إلى القمر ؟

هشام :- إنى لم أر يا أبى سلما رفيعا جدا ، ولكنى أقدر إذا كانت هنالك منارة ارتفاعها ضعف منارة قطب الدين فى دهلى لأمكن الصعود إلى القمر .

الوالد:- وكم ارتفاع منارة قطب الدين يا هشام .

هشام :- سمعت أن ارتفاعها مائتان و اثنتان و أربعون قدما أو ثمانون ذراعا . و ذلك ارتفاع كبير .

الوالد:- سبحان الله إنك ولد بسيط ، إن القمر يا ولدى يبعد من الأرض مأتى ألف وخمسين ألف ميل وهو أقرب الكواكب إلى الأرض .

هشام :- ففى كم مدة يصل الإنسان إلى القمر إذا سافر إليه ؟

الوالد:- إذا سافر الإنسان إلى القمر فى قطار يسير خمسين ميلا فى ساعة فانه يصل إلى القمر فى نحو سبعة أشهر .

وإذا كانت الطائرة تطير خمس مأة ميل فى ساعة فالانسان يصل إلى القمر بالطائرة فى يومين و عشرين ساعة .

هشام:- يا سبحان الله ! أبى تقول إن القمر أقرب الكواكب إلى الأرض فهل القمر كوكب ؟

الوالد:- نعم يا ولدى القمر و الشمس و الأرض و النجوم كلها كواكب ، منها القريب ومنها البعيد ، ومنها الصغير و منها الكبير .

هشام :- شيئ غريب ، فهل الشمس أقرب الكواكب إلى الأرض و لذلك نورها ساطع و قوى جدا ؟

الوالد :- لا يا ولدى الشمس تبعد من الأرض مقدار ثلاثة وتسعين مليون ميل ، فالانسان يصل إلى الشمس فى ذلك القطار فى مأتى عام و عشرة أعوام .

هشام :- الله أكبر ، لأى شئ هى ساطعة واضحة جدا ؟

الوالد:- لأنها أكبر من الأرض بمليون و ثلاث مأة ألف مرة ، و لولا هذا البعد الشاسع لكانت

أسطع و أوضح .

هشام :- و هل هذه النجوم التى نراها كالنقط صغيرة جدا .

الوالد :- لا يا ولدى ! إن بعض النجوم أكبر من الشمس بكثير ، و لكنها أبعد عنها كذلك بكثير ، حتى إن بعضها لا يرى إلا بالمكبرة .

❖ **الأسئلة :**

١ ـ لماذا كان ينظر هشام إلى القمر؟

٢ ـ كم ارتفاع منارة قطب ؟

٣ ـ في كم مدة يصل الإنسان إلى القمر بالقطار الذى يسير خمسين ميلا في ساعة ؟

٤ ـ كم تكبر الشمس من الأرض ؟

٥ ـ استخرج الأسماء من الجملة الآتية :

هل هذه النجوم التى نراها كالنقط صغيرة جدا .

(١٠)

حديث القمر

(٢)

هشام :- و كيف الناس فى عالم القمر ، و كيف ديانتهم و أخلاقهم ، و كيف المساجد و المدارس ؟ و هل فى المدارس اختبار سنوى ، و كتب صعبة و معلمون غلاظ ؟

الوالد :- إنك لسئول و حديث ، و هل إذا خبرتك بأن عالم القمر ليس فيه مدارس أو هنالك مدارس و لكن ليس فيها اختبار و امتحان ، والمعلمون كلهم رحمة و شفقة لا يعاقبون ولا يغضبون فهل تهاجر من الأرض إلى القمر ؟

هشام :- نعم يا أبى إذا هاجرت معى و هاجرت معنا أمّنا و أسرتنا ، و لكنى أعدك بأنى أقرأ هنالك .

الوالد :- يؤسفك أن القمر ليس فيه عمران و لا

يوجد فيه السكان بل هو قاع صفصف ، لأن البرد هنالك شديد لا يطيقه الانسان .

هذا ما وصل إليه الانسان و انتهى إليه علمه إلى هذا الوقت ، و من يدرى؟ لعله يثبت خلاف ذلك غدا! فان علم الانسان ناقص ، و هو كالكوكب السيار يتحول ويتغير .

فقد نقض العلم الحديث العلم القديم و من يقدر أن يقول: إنه لا ينقض هذا الحديث أحدث منه و أحكم منه؟ فالآلات تتحسن وترتقى والانسان فى اكتشاف واختبار .

فالأمس كان الناس يعتقدون أن الشمس تدور حول الأرض و أن الأرض ساكنة مسطحة ، ويستدلون على ذلك بكل شيئ ، ثم أثبتوا بالدلائل والاختبار أن الأرض مستديره كروية الشكل تدور حول الشمس ، وإذا خالف ذلك إنسان رآى إليه الناس شزرا ، وظنوا أنه من رجال القرون الماضية .

❖ الأسئلة :

١ـ هل تدور الشمس حول الأرض ؟
٢ـ علم الإنسان ناقص ، بأي شيئ شبّهه المؤلف .
٣ ـ هل يوجد في القمر عمران ؟
٤ ـ لو هاجرت إلى القمر تذهب إلى المدرسة؟
٥ ـ حدد الفاعل والمفعول و تابع كل منها في الجملة الآتية :
" فقد نقض العلم الحديث العلم القديم".

(١١)

حديث القمر

(٣)

هشام :- ومن أين هذا النور يا أبى و هل هنالك قمر آخر ؟

الوالد:- هذا النور عارية من الشمس ، فان نور الشمس ينعكس فى القمر فيستنير كما ينعكس نور المصباح فتستنير المرآة .

هشام:- و ما هو الخسوف يا أبى ؟ فقد رأيت القمر ليلة الجمعة مخسوفا ، و رأيت الناس يتصدقون ويصلون .

الوالد:- القمر يدور حول الأرض و ....

هشام :- و هل القمر أصغر من الأرض ؟

الوالد:- نعم ، الأرض أكبر من القمر خمسين مرة فالقمر يدور حول الأرض ، و الأرض كما علمت تدور مع القمر حول الشمس ، فاذا حالت الأرض بين القمر والشمس أصبحت حجابا للقمر وانقطع عنه نور الشمس وأظلم القمر ، فاذا حجبت الأرض جرم القمر كله احتجب القمر كله ، و إذا حجبت بعض جرمه احتجب و أظلم هذ الجزء فقط !

هشام :- لم أفهم ذلك جيدا يا أبى !

الوالد:- انظر ! هذا مصباح منير، وهذه مرآة مصقولة و قد أشرقت المرآة بنور المصباح أليس كذلك يا عزيزى ؟

هشام :- بلى يا سيدى !

الوالد:- و لماذا أظلمت هذه المرآة الآن و أين ذهب النور المنعكس فيها ؟

هشام:- لأنك وقفت بينهما فحجبت النور عن المرآة ،

والمرآة المسكينة ليس نورها فيها بل يأتيها من المصباح .

الوالد:- صدقت يا ولدى ، و كذلك القمر مع الشمس لا يزال مستنيرا بنورها حتى يحول بينهما حائل ، والحائل هو الأرض فقط .

هشام:- و لماذا لا تحول الأرض دائما بين الشمس و القمر و لماذا لا ينخسف القمر دائما ؟

الوالد:- أحسنت السؤال ، و ذلك لأن القمر يتزحزح قليلا عن مكانه فى الدوران ، فلا تجتمع الشمس و القمر و الأرض على خط واحد إلا فى النادر ، و إذن ينخسف القمر أو تنكسف الشمس .

هشام:- و لا بد أن الشمس تنكسف إذا حال القمر بين الشمس و الأرض فيحجب نور الشمس عن الأرض بطبيعة الحال .

الوالد:- إنك لولد فطن ، و قد أصبت فى القياس .

هشام:- و ماذا ينبغى لنا أن نعمل عند الكسوف والخسوف .

الوالد:- كان الناس فى قديم الزمان يعتقدون أن الشمس و القمر إنما ينكسفان لحادثة مهمة في الأرض لموت رجل جليل مثلا ، ومات إبراهيم ابن محمد عليه السلام فانكسفت الشمس فقالوا : إنما انكسفت الشمس لموت ابن الرسول ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى دخل المسجد فدخل المسلمون فصلى بهم ركعتين حتى انجلت الشمس فقال : "إِنَّ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَّ لاَ لِحَيَاتِه فَإِذَا رَأَيْتُمُوْهَا فَصَلُّوْا وَادْعُوْا حَتّٰى يُكْشَفُ مَا بِكُمْ " .

وقال: "إِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَ لاَ لِحَيَاتِه ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوْهَا فَافْزَعُوْا إِلَى الصَّلاَةِ " .

❖ الأسئلة :

١ ـ أنى للقمر نوره؟

٢ ـ الشمس والقمر أيهما أكبر ؟

٣ ـ لماذا تنكسف الشمس ؟

٤ ـ كم مرة يصغر القمر من الشمس ؟

٥ ـ صحح الأخطاء الواردة في الجمل التالية :

- القمر أكبر من الأرض
- الشمس أقرب إلى الأرض من القمر .
- الشمس تدور حول الأرض .
- إن في القمر أسواقا و مدارس و مدينة زاخرة .

(١٢)
السلطان مظفر حليم الكجراتي

(١)

السلطان الفاضل العادل السلطان مظفر المحدث الفقيه مظفر بن محمود بن محمد بن أحمد بن محمد بن مظفر الكجراتي، أبو النصر شمس الدين مظفر شاه الحليم صاحب الرياستين، ولد يوم الخميس لعشر بقين من شوال سنة خمس و سبعين و ثمان مأة بأرض كجرات ، ونشأ في عهد السلطة ورضع من لبان العلم وتنبل في أيام أبيه ، وقرأ على مجد الدين محمد بن محمد الأيجي العلامة وعلى غيره من العلماء، و أخذ الحديث عنه وعن الشيخ المحدث جمال الدين محمد بن عمر بن المبارك الحميري الحضرمي الشهير ببحرق ، وتدرب في الفنون الحربية حتى فاق أسلافه في العلم

والأدب وفي كثير من الفعال الحميدة، وقام بالملك بعد والده يوم الثلاثاء، ثالث شهر رمضان سنة ٩١٧ هـ من الهجرة ، وافتتح أمره بالعدل والسخا ، والنجدة والجهاد وسد الثغور وإكرام العلماء .

وكان غاية في التقوى والعزيمة والعفو والتسامح عن الناس ولذلك لقبوه بالسلطان الحليم ، وكان جيد القريحة سليم الطبع ، حسن المحاضرة عارفا بالموسيقى، مشاركا في أكثر العلوم والفنون ، ماهرا في الفنون الحربية ، من الرمى والضرب بالسيف والطعن بالرماح والفروسية والمصارعة ، خطاطا جيد الخط ، كان يكتب النسخ والثلث والرقاع بكمال الجودة ، وكان يكتب القرآن الحكيم بيده ثم يبعثه إلى الحرمين الشريفين ، و حفظ القرآن في حياة والده أيام الشباب .

و كان يقتفي آثار السنة السنية في كل قول و فعل ، و يعمل بنصوص الأحاديث النبوية ، و ربما يذكر الموت و يبكي ، و يكرم العلماء ويبالغ في تعظيمهم ، وكان لا يحسن الظن بمشايخ عصره في بداية حاله ثم مال إليهم .

ولم يزل يحافظ على الوضوء و يصلي بالجماعة ويصوم رمضان و لم يقرب الخمر قط ، و لم يقع في عرض أحد ، وكان يعفو ويسامح عن الخطائين ، ويجتنب الإسراف والتبذير ويذل الأموال الطائلة على غير أهلها.

وكان كثير التفحص عن أخبار الناس ، عظيم التجسس عن أخبار الممالك ، وربما يغير زيه ولباسه ويخرج من قصره آناء الليل والنهار و يطلع على الأخبار و يستكشف الأسرار.

قال الآصفي : إنه وصل إليه يوما من القاضي بجانبانير رسول الطلب وقد تظلم منه تاجر خيل ، فكما بلغه وعلى ما كان عليه في حال الخلق أجاب الرسول وخرج ماشيا إلى مجلس القاضي ، وجلس مع خصمه بين يديه ، وادعى التاجر عليه أنه لم يصله ثمن أفراسه و ثبت ذلك ، و أبى التاجر أن يقوم من مجلسه قبل أداء الثمن ، و حكم القاضي به ، فمكث السلطان مع خصمه إلى قبض التاجر الثمن ، و كان القاضي لما حضر السلطان في المحكمة وسلم عليه لم يتحرك من

مجلسه وما كفاه ذلك حتى إنه أمره أن لا يترفع على خصمه ويجلس معه ، والسلطان لا يخرج عن حكمه، ولما قبض التاجر الثمن وسأله القاضي هل بقيت لك دعوى عليه و قال لا، عند ذلك قام القاضي من مجلسه وسلم على عادته فيه و نكس رأسه في ما يعتذر به ، وأجلسه في مجلس حكمه كما كان ، و جلس إلى جنبه ، وشكره على عدم مداهنته في الحق حتى إنه قال : لو عدلت عن سيرتك هذه رعاية لي لانتصفت للعدالة منك و أنزلتك منزلة آحادالناس لئلا يأتي بعدك غيرك بما أتيت ، فجزاك الله عني خيرا بوقوفك مع الحق فمثلك يكون قاضيا، فأثنى عليه القاضي وقال : مثلك يكون سلطانا .

قال الآصفي : ومن بره المستفيض لأهل الحرمين الشريفين أنه نجر مركبا و شحنه بالقماش الثمين و أرسله إلى ميناء الحجازجدة وجعله وما فيه صلة لهم ، وله بمكة المشرفة رباط يشتمل على مدرسة و سبيل وعمارة غيرها ، و عين وقفا يتجهز محصوله إلى مكة في كل موسم للمدرسين بمدرسته و الطلبة و سكنة

الخلاوي والخدم وما في معناه ، و يتجهز سواه لأهل الحرمين و كان ذلك مستمرا في أيامه.

و من مآثره الحسنة بالحرمين مصحفان بخطه المنسوب ، كتبها بقلم الثلث المجرد بماء الذهب ، وإمام الحنفية مخصوص بالقراءة فيهما ، و ربعتان أيضا بخطه كذلك ، و للمصحفين والربعتين وقف مخصوص يتجهز كل عام إلى الحرمين الشريفين لقاريء المصحف وقراءة الأجزاء وشيخ الربعة ومفرقها والحافظ لها والداعي له عند الختم والسقاء في الوقت والنقيب والفراش ، وقد رأيت ذلك وكان مستمرا إلى شهادة السلطان محمود .

❖**الأسئلة** :

(١) متى ولد السلطان مظفر حليم و كيف كانت أسرته ؟

(٢) كيف كان يتفحص عن أخبار الناس ؟

(٣) اذكر قصته مع القاضي بجانبانير ؟

(٤) اذكر بعض أعمال برّه لأهل الحرمين الشريفين ؟

(٥) بين معانى الكلمات التالية بذكر أبواب الأفعال و جمع الأسماء ؟

رضع - يقتفى - تنبل - النجدة - القريحة - قماش - شحن - يتجهز -

(١٣)

السلطان مظفر حليم الكجراتي

(٢)

ومن نوادر فعاله أنه لما تغلب مدني رائ على بلاد مالوه وضيق على المسلمين وخرج محمود شاه الخلجي صاحب مالوه من بلاده هاربا عنه إلى كجرات ؛ نهض السلطان مظفر الحليم من بلاده إلى مالوه سنة ثلاث و عشرين وتسع مائة بعساكره، فوصل إلى " دهار" ثم إلى " مندو" و نزل على القلعة وشرع في المحاصرة ، و أما مدني رائ فإنه لما بلغه نزول السلطان " بديوله" قال لأصحابه: قرب منا المظفر ولا سبيل إلى الحرب إلا إذا حضر " رانا سانجا " صاحب جتور فاكفوني أنتم القلعة و أنا أسير إليه و أصل به ، وعلى هذا ودعهم وعزم لطلبه، فلما نزل السلطان على القلعة خرج يوما نخبة من رجال القلعة على أن يشتبكوا بالمسلمين ، وكانوا حذرين فشدوا عليهم و قتلوا منهم كثيرا وهرب الباقون و تركوا السيف و اعتمدوا الخديعة فطلبوا الأمان لتسليم القلعة وترددوا فيه أياما ، ثم سألوا

الأمان لأموالهم ، فلما أجيبوا طلبوا المهلة للجمعة ثم سألوا التباعد عن القلعة ليأمنوا في الخروج ، فلما فعل ذلك بلغه وصول " رانا سانجا " إلى "أجين" فغضب السلطان و ركب على ربوة مرتفعة هناك وجلس عليها ، و أما الأمراء فكل منهم في سلاحه الكامل في ظل علمه واقف تحت الربوة ، فطلب من بينهم عادل خان الفاروقي صاحب برهان فور وقلده إمارة العسكر المجهز لحرب صاحب جتور و خلع عليه و قلده سيفا وحياصة و مجنا وتسعة من الخيل وحلقة من الأفيال ، وأوصاه وودعه ، و كذلك طلب فتح خان صاحب راڈهن فور و أعطاه مثله ، و كذلك طلب قوام خان ثم أوصاهما بعادل خان وودعهما، ثم استدعى عسكر هؤلاء ووعدهم جميلا وخص وجوه العسكر بالأقبية و أمر بسائرهم بالتنبل على عادة الهند في الرخصة لهم ، و نهض إلى منزله الأول و جد في أسباب الفتح و دخل القلعة عنوة في ثاني يوم نزوله ، وعمل السيف فيهم ، وكان آخر أمرهم أنهم دخلوا مساكنهم وغلقوا الأبواب واشعلوها نارا فاحترقوا و أهليهم ، و السلطان تحت المظلة ،

وهكذا محمود و هما يسيران رويدا رويدا و الدماء تسيل كالعين الجارية في سكك القلعة من كل جانب إلى مخارج الماء منها ، و بلغ عدد القتلى من الكفرة تسعة عشر ألفا سوى من غلق بابه و احترق و سوى أتباعهم ، فلما وصل السلطان إلى دار سلطنة الخلجي التفت إليه وهنأه بالفتح وبارك له في الملك و أشار بيده المباركة إلى الباب ، وقال له ! بسم الله ادخلوها بسلام آمنين ، وعطف عنانه خارجا من القلعة إلى القباب ودخل الخلجي منزله واجتمع بأولاده وأهله ، وسجد شكرا لله سبحانه ، فلما بلغ مدني رائ شهق شهقة وغشى عليه ، وسمع رانا سانجا بعادل خان وقرب من أجين فاضطرب وقال لمدنى رائ : ما هذه الشهقة قد قضى الأمر ! فان عزمت على أن تلحق بأصحابك فها عادل خان يسمع نفيره ، وإلا فادرك نفسك ، ثم أمر به فحمل على فيل وخرج من أجين إلى جهاته خائبا، وتبعه عادل خان إلى ديبال فور وتوقف بها حتى جاءه الطلب .

ثم إن الخلجي تفقد ذخائره وهيأ الضيافة ونزل إلى مظفر شاه السلطان و سأله التشريف بالطلوع

فأجابه ، فلما فرغ من الضيافة دخل به في العمارات التي كانت من آثار أبيه وجده فأعجب بها و ترحم عليهم ، ثم جلسا في جانب منه وشكره الخلجي وقال : الحمد لله الذي أراني بهمتك ما كنت أتمناه بأعدائي ولم يبق لي الآن إرب في شيء من الدنيا ، و السلطان أولى بالملك مني وما كان له فهو لي ، فأسألك قبول ذلك وللسلطان أن يقيم به من شاء ، فالتفت السلطان إليه وقال له: إن أول خطوة خطوتها إلى هذه الجهة كانت لله تعالى ، والثانية كانت لنصرتك وقد نلتها فالله يبارك لك فيها و يعينك عليه ، فقال الخلجي : خلا الملك من الرجال فأخشى ضياعه ، فأجابه مظفر شاه الحليم وقال له : أما هذا فمقبول ، سيكون آصف خان معك باثني عشر ألف فارس إلى أن يجتمع رجالك ، فطلب الخلجي أن يكون عنده ولده تاج خان وألح عليه ، فأجابه إلى ذلك ، ووعده بالنصر في جميع الأوقات ، وقال لآصف خان : مالك ولأصحابك كافة من الجراية والولاية عندي فهي على حالها إلى أن ترجعوا إلى منازلكم ، وما يعطيكم الخلجي فهو مضاف إليه

للتوسع في الوقت ، و أمر للخلجي بخزانة ثم ودعه ونزل .

وقيل : إن مظفر شاه لما فتح القلعة و دخلها سأله أركان دولته أن يستأثر بها فالتفت إلى الخلجى وقال له: احفظ باب القلعة برجال لا يدعوا أحدا يدخلها بعد حتى من ينتسب إلى ، فطلب الخلجي أن يمكث أياما فأبى ونزل ، ثم بعد ثلاث أضافه الخلجي ودار به في المباني التي لا يعرف لها نظير في الهند ، و انتهى إلى بناء بابه مغلق فاستفتحه و دخل إلى حجر هنالك ، فأمر الطواشية بفتحها واستدعاء من فيها ، فإذا بنساء برزن في حلى وحلل قل أن رأت العين مثلهن ، و بأيديهن أصناف الجواهر، وما منهن إلا من سلمت ونثرت ما بأيديها على قدم السلطان ، فأشار بأن يحتجبن ، لأن النظر إلى الأجنبية لا يحل ، فقال الخلجي : كلهن ملكي وأنا مالك والعبد وما ملك لمولاه ، فدعا له وعاد إلى قبابه .

فلما نهض للمسير راجعا نزل الخلجي ومعه تاج خان و اصف خان وشيعه إلى حده وسأله الدعاء ورجع ،

ورخص السلطان لعادل خان فرجع إلى برهان فور ووصل السلطان بالفتح والدعاء إلى جانبانير ؛ وكان يوم دخوله مشهودا كثر فيه الدعاء له من سائر عباد الله تعالى .

وكان فتح مندو في ثاني عشر من صفر سنة أربع وعشرين وتسع مائة ، وهو من نوادر الوقائع لا يذكر مثله لأحد من ملوك الهند وسلاطينها بل سلاطين غيرها من البلاد .

و أعجب من ذلك أن هذا الخلجي و أسلافه كانوا من أعداء دولتهم ، فإن جده محمود شاه الخلجي الكبير سامحه الله يصول عليهم مرة بعد مرة أخرى و في كل مرة يخسر ويخيب في أمله، و أبوه غياث الدين الخلجي خرج إلى كجرات لنصرة كفار الهند على محمود شاه الكجراتي الكبير، وكذلك جده في أيام محمد شاه الكجراتي-سامحهما الله تعالى. ولله در من قال :

هيهات لا يأتي الزمان بمثله

إن الزمان بمثله لبخيل

❖ **الأسئلة :**

١ ـ من تغلب على بلاد "مالوه "وضيق على المسلمين هناك ؟

٢ ـ ماذا قال السلطان مظفر حليم لما عرض عليه الخلجى ملكه ؟

٣ ـ متى تم فتح "مندو"؟

٤ ـ كيف كان تعامل الخلجى و أسلافه مع السلطان قبل الغزو و نصرته له ؟

٥ ـ حدد الحال و ذاالحال والمفعول المطلق فى الجمل الآتية .

أ ـ ادخلوها بسلام آمنين .

ب ـ عطف عنانه خارجا من القلعة .

ج ـ هما يسيران رويدا رويدا .

(١٤)

السلطان مظفر حليم الكجراتي

(٣)

قال الآصفي وفي سنة إحدى و ثلاثين وتسع مأة خرج السلطان إلى مصلى العيد للاستسقاء و تصدق و تفقد ذوي الحاجة على طبقاتهم وسألهم الدعاء ، ثم تقدم للصلاة وكان آخر ما دعا به كما يقال : اللهم إني عبدك ولا أملك لنفسي شيئاً فان تك ذنوبى حبست القطر فها ناصيتي بيدك فأغثنا يا أرحم

الراحمين ، قال هذا و وضع جبتهه على الأرض واستمر ساجدا يكرر قوله يا أرحم الراحمين ، فما رفع رأسه إلا و هاجت ريح و نشأت سحابة ببرق و رعد ومطر ، ثم سجد لله شكرا و رجع من صلاته بدعاء الخلق له وهو يتصدق وينفح بيده بالمال يمينا وشمالا .

وبعد الاستسقاء بقليل اعتراه الكسل ثم ضعف المعدة .... وفي خلال ذلك عقد مجلسا حفلا بسادة الأمة ومشايخ الدين و صوفية اليقين ، واجتمع بهم وتذاكروا في ما يصلح بلاغا للآخرة ، إلى أن تسلسل الحديث في رحمة الله سبحانه و ما اقتضاه منه واحسانه ، فأخذ يشرح ما من الله عليه من حسنة ونعمة و يعترف بعجز شكرها إلى أن قال : وما من حديث رويته عن أستاذي المسند العالي مجد الدين بروايته له عن مشايخه إلا و أحفظه و أسنده و أعرف لراويه نسبته و ثقته وأوائل حاله إلى وفاته ، وما من آية إلا و من الله على بحفظها و فهم تأويلها و أسباب نزولها و علم قراءتها ، و أما الفقه فاستحضر منه ما أرجو به مفهوم " مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّيْنِ " ولي مدة أشهر

أصرف وقتى باستعمال ما عليه الصوفية وأشتغل بما سنه المشايخ لتزكية الأنفاس عملا بما قيل : " مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ " وها أنا أطمع في شمول بركاتهم متعللا بعسى و لعل ، وكنت شرعت بقراءة معالم التنزيل وقد قاربت إتمامه إلا أني أرجو أن أختمه فى الجنــة إن شاء الله تعالى ، فلا تنسوني من صالح دعائكم ، فإني أجد أعضائي فقدت قواها ، فدعا له الحاضرون بالبركة فى العمر.

قال : و في سنة ٩٣٢هـ على خروجه من جانفانير ظهرت منه مخائل المستودع بفراق الأبد لها ولأهلها وأكثر من أعمال البر فيها وفى طريقه إلى أحمد آباد ، و لما نزل بها كان يكثر من التردد ، إلى قبور الصالحين ويكثر من الخير بها ، وكان له حسن ظن بالعلامة خرم خان فقال له يوما : نظرت فى ما أوثر به أولى الاستحقاق من الانفاق ، فاذا أنا بين إفراط في صرف بيت المال وتفريط فى منع أهله ، فلم أدر إذا سئلت عن ذلك بماذا أجيب ؟

وفي آخر أيامه وكان يوم الجمعة قام إلى القصر واضطجع إلى أن زالت الشمس فاستدعى بالماء وتوضأ وصلى ركعتي الوضوء ، وقام من مصلاه إلى بيت الحرم واجتمعت النسوة عليه آئسات باكيات يندبن أنفسهن حزنا على فراق لا اجتماع بعده ، فأمرهن بالصبر المؤذن بالأجر ، وفرق عليهن مالا ثم ودعهن واستودعهن الله سبحانه وخرج وجلس ساعة ثم استدنى منه راجه محمد حسين المخاطب بأشجع الململك ، وقال له : قد رفع الله قدرك بالعلم ، أريد أن تحضر وفاتى تقرأ على سورة يسين وتغسلني بيدك وتسامحنى فيه ، فامتن بما هو أهله وفداه ودعا له ، وسمع أذانا فقال أهو فى الوقت فأجاب أسد الملك هذا أذان الاستدعاء لاستعداد صلاة الجمعة ويكون فى العادة قبل الوقت ، فقال أما صلاة الظهر فأصليها عندكم وأما صلاة العصر فعند ربى فى الجنة إن شاء الله تعالى ، ثم أذن للحاضرين فى صلاة الجمعة وطلب مصلاه ، وصلى ودعا الله سبحانه بوجه مقبل عليه وقلب منيب إليه ، دعاء من هو مفارق للقصر مشرف على القبر ، ثم كان آخر دعائه " رَبِّ قَدْ

آتَيْتَنِيْ مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِيْ مِنْ تَأْوِيْلِ الْأَحَادِيْثِ فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيٍّ فِيْ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِيْ بِالصَّالِحِيْنَ " وقام من مصلاه و يقول : استودعك الله واضطجع على سريره وهو مجتمع الحـــواس و وجهه إلى القبلـــة ، و قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ، و فاضت نفسه و الخطيب على المنبـر يدعو له .

و كان ذلك فى ثانى جمادى الأولى سنة ٩٣٢هـ وكان حمل تابوته إلى " سركهيج " ودفن عند والده طيب الله ثراه ، ويحسن الاستشهاد هنا بما رثى به العماد الكاتب سلطانه الململك العادل نور الدين الشهيد رحمه الله .

ياملكا أيامه لم تـزل	بفضله فاضلة فاخـرة
ملكت دنياك وخلفتها	وسرت حتى تملك الآخرة

(نزهة الخوطر للسيد عبد الحى الحسنى)

❖ الأسئلة :

١- اذكر ما دعا به السلطان في صلاة الاستسقاء؟
٢ ـ ما فعل السلطان في آخر أيامه ؟
٣ ـ ما هو آخر دعائه قبل الوفاة ؟

٤ - في أي يوم توفي السلطان وأين دفن ؟

٥ - ميِّز المنصوبات في البيتين الآتيين واذكر عواملها :

يا ملكا أيامه لم تزل ... بفضله قاضلة فاخرة
ملكت دنياك وخلفتها ... وسرت حتى تملك الآخرة

(١٥)

رسول المسلمين عند قائد قواد الفرس

أرسل سعد قبل القادسية ربعي بن عامر رسولا إلى رستم قائد الجيوش الفارسية و أميرهم ، فدخل عليه ، وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة ، و زرابي الحرير ، و أظهر اليواقيت و اللآلىء الثمينة ، و الزينة العظيمة ، و عليه تاجه و غير ذلك من الأمتعة ، و قد جلس على سرير من ذهب .

و دخل ربعي بثياب صفيقة ، و سيف ، و ترس ، وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل ، وربطها ببعض تلك الوسائد، و أقبل و عليه سلاحه و درعه ، و بيضته على رأسه ، فقالوا له : ضع سلاحك .

فقال : إني لم آتكم ، وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا و إلا رجعت .

فقال رستم : ائذنوا له .

فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق ، فخرق عامتها.

فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه ، لندعوهم إليه ، فمن قبل ذلك قبلنا منه و رجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضى إلى موعود الله .

قالوا : و ما موعودُ الله ؟

قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، و الظفر لمن بقي ٠

فقال رستم : قد سمعت مقالتكم ، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه و تنظروا ؟

قال : نعم ! كم أحب إليكم؟ يوما أو يومين ؟

قال: لا ، بل حتى نكاتب أهل رأينا و رؤساء قومنا!

فقال : ما سن لنا رسول الله ﷺ أن نؤخر الأعداء عند اللقاء من ثلاث ، فانظر في أمرك وأمرهم ، و اختر واحدة من ثلاث بعد الأجل .

فقال : أسيدهم أنت ؟

قال : لا ، ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم.

فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيتم قط أعز و أرجح من كلام هذا الرجل ؟

فقالوا : معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا و تدع دينك إلى هذا الكلب ، أما ترى إلى ثيابه ؟

فقال : ويلكم لا تنظروا إلى الثياب ، وانظروا إلى الرأى ، والكلام، والسيرة ، إن العرب يستخفون بالثياب والمأكل ، و يصونون الأحساب .

(البداية والنهاية ـ ج ٧ ص ٤٠)

❖ الأسئلة :

١ ـ ما اسم المسلم الذي أرسله سعد رسولا إلى رستم ؟

٢ ـ ماذا فعل ربعي بن عامر عندما دخل على رستم ؟

٣ ـ قال رستم : ما جاء بكم ؟ اذكر إجابة ربعي له .

٤ ـ ما موعود الله لمن قتل في سبيل الله ؟

٥ ـ المسلمون كالجسد الواحد. اذكر حديثا نبويا يوضح ذلك .

أكمل الجمل التالية بكلمات مناسبة من النص :

ـ زين مجلس رستم بالنمارق ..... وزرابي ....

ـ الله ... لنخرج من نشاء من عبادة ... إلى عبادة ....

ـ إن ... يستخفون بالثياب .... و يصونون .....

(١٦)

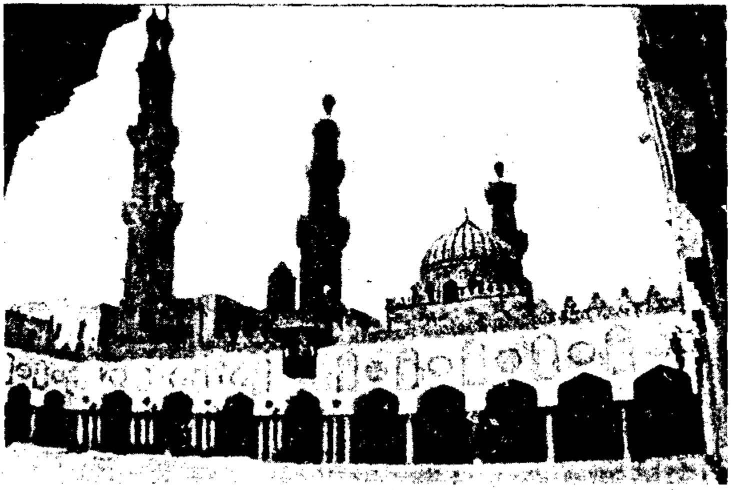
الجامع الازهر

الجامع الأزهر هو ذلك المسجد الكبير القائم فى مدينة "القاهرة" لأكثر من تسعة قرون ونصف ، وفيه تلك الجامعة الدينية الكبرى ، وهو أول مسجد أسس بالقاهرة أنشأه القائد جوهر الكاتب الصقلى مولى المعز لدين الله الفاطمى لما اختط القاهرة ، إذ شرع فى بنائه لست بقين من جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هجرية ، وتم بناؤه لتسع من رمضان سنة ٣٦١ هجرية .

وكان حال هذه المدرسة كأمثالها من المعاهد العلمية ودور التعليم ، بدأت صغيرة لكنها ما لبثت أن اتسع نطاقها و عظم شأنها بما أفاض عليها الملوك

والأمراء حتى أصبحت منبعا للتعليم الدينى ، وطبق صيتها الخافقين فانحدر إليها الطلبة من أقصى المسكونة ، وتخرج منها العلماء والأئمة فى كل فرع من فروع العلم الدينى وغيره .

وقد زاد الملوك والأمراء فى بنائه ووسعوا فى نواحيه وشادوا مساكن للطلاب "أروقة" وأسكنوا فيها من لم يكن له مسكن يأوى إليه ، ولا سيما الغرباء وأودعوا فيها كتب التدريس والمراجعة .



جامعة الأزهر

كان الأزهر يسير على نظام سهل يكاد يكون فطريا أساسه التقوى وقوامه احترام الدين وأهله ، فلم يكن به

من مظاهر نظامات هذه الأيام وتدبيراتها شيئ .

كان الطالب يدخله مختارا بلا قيد ولا شرط و يختلف إلى من أراد من العلماء لتلقى العلم عنه ، ويبقى فيه ماشاء أن يبقى ، فاذا آنس من نفسه علما كافيا وملكة يتمكن بها من إفادة غيره جلس للتدريس حيث يجد مكانا خاليا ، وعرض نفسه على الطلبة فكانوا إذا وجدوه على علم التفوا حوله وقبلوا يده ، وإذا رأوا غير ذلك انصرفوا عنه ، وتلك هى شهادة العالمية التى كان يعطاها العلماء .

وفى سنة ١٢٨٨ هجرية وضع أول قانون للأزهر وصدرت بعد ذلك عدة قوانين .

وفى ٣ محرم سنة ١٣٥٥هـ صدر مرسوم باعادة تنظيم الجامع الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية ونفذ كقانون من قوانين الدولة .

وقد أنشئ قسم عام بالقاهرة ألحق بالجامع الأزهر من سنة ١٣٥٢هـ لسد حاجة من يريد التوسع فى أحكام الدين و اللغة العربية ، و قد خص الأزهر دون سائر المعاهد بالتعليم العالى والتخصص.

وأنشئ قسم من الأزهر للتخصص فى علوم الدين واللغه العربية و التاريخ الاسلامى و التربية و الوعظ والارشاد .

وكليات الجامع الأزهر هى : (١) كلية الشريعة (٢) كلية اللغة العربية (٣) كلية أصول الدين .

وشيخ الجامع الأزهر هو الامام الأكبر لجميع رجال الدين والمشرف الأعلى على السيرة الشخصية الملائمة لشرف العلم والدين فى القطر المصرى كله .

وللجامع الأزهر مجلس يسمى المجلس الأعلى للأزهر يشرف على شئونه وإدارته ، ويرأس هذا المجلس شيخ الجامع الأزهر .

بلغت ميزانية الجامع الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية لسنة ١٩٣٦-١٩٣٧م المالية ٣٢٣٩٧٦ جنيها مصريا .

ويبلغ عدد الوظائف الدائمة الخاصة للمدرسين والموظفين ٧٧٦، وعدد الوظائف الموقتة ١٠٢ .

ويلغ عدد طلبة الأزهر سنة ١٩٣٦-١٩٣٧م الدراسية ١١١٣٠ طالب .

ومعظم طلبة الأزهر من المصريين والسوريين والأتراك و المغاربة وبعضهم يأتى من الأفغانستان الصين وبغداد وبورنيو والهند وجاوه والعجم وسنار والصومال وجنوب إفريقيا وغيرها .

وكان فى الأزهر مجموعة كبيرة من الكتب متفرقة فى أروقته وفى جهات متعددة منه ، فلما توجهت العناية إلى إصلاح الأزهر وتحسين حاله أنشئت فى سنة ١٨٩٧م دار كتب عامة تسمى " دار الكتب الأزهرية الكبرى" تجمع ما تفرق فى أروقة الأزهر من الكتب ، ورتب لها ما يلزم من المال والعمال ، وما زالت هذه الدار تتدرج فى الرقى حتى أصبحت تحتوى على ٧٢٦٢٧ مجلدا بين مخطوط ، ومطبوع ، وفيها من أمهات الكتب ونادرها مالا يوجد فى دار كتب أخرى .

(تقويم مصر بتلخيص)

❖ **الأسئلة :**

(١) أين الجامع الأزهر ؟ ومن أسسه ؟

(٢) كيف كان نظام التعليم فى الأزهر قديما ؟

(٣) متى وضع أول قانون للأزهر ؟

(٤) عددالبلدان التى يتوافدمنها الطلاب الى الأزهر ؟

(٥) اكتب الأعداد التالية بالألفاظ العربية .

سنة١٩٣٦ م ـ عام ١٣٢٢هـ - ١١١٣٠طالب،٢٣١ وظيفة ـ ٧٧٢ موظف – ٧٢٦٢٧مجلداً .

(١٧)

أدب القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

يَاأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لاَتُقَدِّمُوْا بَيْنَ يَدَىِ اللهِ وَرَسُوْلِهٖ وَاتَّقُوا اللهَ ، إِنَّ اللهَ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ ، يَاآيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لاَتَرْفَعُوْا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِىِّ وَلاَ تَجْهَرُوْا لَهٗ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُوْنَ ، إِن الَّذِيْنَ يَغُضُّوْنَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُوْلِ اللهِ أُولٰئِكَ الَّذِيْنَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوْبَهُمْ لِلتَّقْوٰى ، لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَّأَجْرٌ عَظِيْمٌ ، إِنَّ الَّذِيْنَ يُنَادُوْنَكَ مِنْ وَّرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُوْنَ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوْا حَتّٰى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ ، وَاللهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ، يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِنْ جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوْا أَنْ تُصِيْبُوْا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ

فَتُصْبِحُوْا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِيْنَ ، وَاعْلَمُوْا أَنَّ فِيْكُمْ رَسُوْلَ اللهِ ، لَوْ يُطِيْعُكُمْ فِىْ كَثِيْرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلٰكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيْمَانَ وَزَيَّنَهُ فِىْ قُلُوْبِكُمْ ، وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوْقَ وَالْعِصْيَانَ ، أُولٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُوْنَ ، فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَنِعْمَةً ، وَاللهُ عَلِيْمٌ حَكِيْمٌ ، وَإِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ اقْتَتَلُوْا فَأَصْلِحُوْا بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِىْ تَبْغِىْ حَتَّىٰ تَفِيْءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ ، فَإِنْ فَآءَتْ فَأَصْلِحُوْا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوْا ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِيْنَ ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوْا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ، وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَ ؛ يَآأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَنْ يَّكُوْنُوْا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰٓ أَنْ يَّكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ ، وَلاَ تَلْمِزُوْا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوْا بِالْأَلْقَابِ ، بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوْقُ بَعْدَ الْإِيْمَانِ ، وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُوْنَ ، يَآأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا اجْتَنِبُوْا كَثِيْراً مِّنَ الظَّنِّ ، إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَّلاَ تَجَسَّسُوْا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَّأْكُلَ لَحْمَ أَخِيْهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوْهُ ، وَاتَّقُوْا اللهَ ، إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيْمٌ ، يَآأَيُّهَا

النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَّأُنْثَى وَ جَعَلْنكُمْ شُعُوْبًا وَّقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوْا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللهَ عَلِيْمٌ خَبِيْرٌ ، قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ، قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوْا وَ لكِنْ قُوْلُوْا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيْمَانُ فِيْ قُلُوْبِكُمْ ، وَإِنْ تُطِيْعُوْا اللهَ وَرَسُوْلَهُ لاَ يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً ، إِنَّ اللهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوْا وَ جَاهَدُوْا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ ، أُوْلٓئِكَ هُمُ الصَّادِقُوْنَ ، قُلْ أَتُعَلِّمُوْنَ اللهَ بِدِيْنِكُمْ ، وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِيْ السَّمٰوَاتِ وَمَا فِيْ الأَرْضِ ، وَاللهُ بِكُلِّ شَيْئٍ عَلِيْمٌ ، يَمُنُّوْنَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوْا ، قُلْ لاَ تَمُنُّوْا عَلَىَّ إِسْلاَمَكُمْ ، بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيْمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ ، إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَاللهُ بَصِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَ .

(سورة الحجرات)

❖ الأسئلة :

(١) كيف يتأدب المؤمن مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حياته وبعد وفاته ؟

(٢) ما واجب المؤمن إذا جاءه فاسق بنبأ ؟

(٣) إذا وجد المؤمنون فئتين مقتتلين فما دورهم إزاءهما ؟

(٤) بم شبه الله الاغتياب ؟ اذكر بعض أضرار الاغتياب .

(٥) أعرب هذه القطع القرانية .

- واعلموا أن فيكم رسول الله .
- إن بعض الظن إثم .
- ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم .

١٨

شيخ الاسلام الحافظ ابن تيمية

ولد أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية بحران ، يوم الإثنين فى ١٠وقيل ١١ ربيع الأول سنة ٦٦١هـ ، وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير ، كانوا قد خرجوا من بلاد حران مهاجرين بسبب جور التتر ، فساروا بالليل ومعهم الكتب على عجلة لعدم الدواب ، وكاد العدو يلحقهم ، ووقعت العجلة فابتهلوا إلى الله تعالى واستعانوا به فنجوا ، وقدموا دمشق فى أثناء سنة ٦٦٧هـ وسمع هناك من أكثر من مأتى شيخ ، و لازم السماع مدة سنين واشتغل بالعلوم وحفظ القرآن ، وأقبل على الفقه ، وبرع فى النجوم ، وأقبل على التفسير إقبالا كليا حتى حاز فيه قصب السبق ، كل ذلك وهو ابن

بضع عشرة سنة ، ولم يزل على ذلك خلفا صالحا برا بوالديه تقيا ورعا ناسكا صواما قواما ذاكرا لله فى كل أمر ، وعلى كل حال ، رجاعا إلى الله تعالى فى سائر الأحوال والقضايا ، وقافا عند حدود الله تعالى وأوامره ونواهيه ، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، لا تكاد نفسه تشبع من العلم ولا تروى من المطالعة ، ولا تمل من الاشتغال ولاتكل من البحث ، وكان يحضر المجالس والمحافل فى صغره يتكلم ويناظر ويفحم الكبار ، ويأتى بما يتحير منه أعيان البلد فى العلم ، وأفتى وله نحو ١٧ سنة ، وشرع فى الجمع والتأليف من ذلك الوقت ، ومات والده فكان من كبار الحنابلة وأئمتهم ، درس بعده بوظائف و له ٢١ سنة فاشتهر أمره ، و بعد صيته فى العالم ، وأخذ فى تفسير الكتاب العزيز أيام الجمع على كرسى من حفظه،فكان يورد ما يقوله من دون توقف ولا تلعثم ، وحج سنة ٦٩١هـ ورجع وقد انتهت إليه الامامة فى العلم والعمل ، ولم يخل بعد ذلك من فتنة بعد فتنة ، ولم ينتقل طول عمره من محنة إلا إلى محنة، حبس مرارا فى مسائل فقهية وكلامية وحبس

مرة ببرج ، وكان موضعه فسيحا فصار الناس يدخلون إليه ويقرأون عليه ويبحثون معه ، ونقل إلى الجب ، ونفى من بلاد ونقل من بلاد إلى بلاد .

وقاموا عليه فى شهر رمضان سنة ٧١٩هـ ، وأكد عليه المنع من الفتيا ثم عقدله مجلس آخر فى رجب سنة ٧٢٠هـ ثم حبس بالقلعة ، ثم أخرج فى عاشوراء سنة ٧٢١هـ ثم قاموا عليه مرة أخرى فى شعبان ٧٢٦هـ بسبب مسألة الزيارة ، واعتقل بالقلعة ، فلم يزل بها إلى أن مــات فى ليلة الإثنين و العشرين من ذى القعدة سنة ٧٢٨هـ ، وصلى عليه بجامع دمشق ، وصار يضرب بكثرة من حضر جنازته المثل ، وأقل ما قيل فى عددهم إنهم خمسون ألفا .

قال الذهبى : كان يقضى منه العجب إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف واستدل ورجح ، وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه ، وما رأيت أسرع انتزاعا للآيات الدالة على المسألة التى يوردها منه ، ولا أشد استحضارا للمتون وعزوها منه ، كأن السنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة ،

وكان آية من آيات الله فى التفسير والتوسع فيه ، وأما أصول الديانة ومعرفة أقوال المخالفين فكان لا يشق غباره فيه ، هذا مع ما كان عليه من الكرم و الشجاعة والفراغ عن ملاذ النفس ، ولعل فتاواه فى الفنون تبلغ ثلث مأة مجلد بل أكثر ، وكان قوالا بالحق لا تأخذه فى الله لومة لائم .

كان أبيض أسود الرأس واللحية قليل الشيب ، شعره إلى شخمة أذنيه ، وكأن عينيه لسانان ناطقان ، ربعة من الرجال بعيد ما بين المنكبين ، جهورى الصوت فصيحا ، سريع القراءة ، تعتريه حدة لكن يقهرها بالحلم ، لم أر مثله فى ابتهاله واستغاثته وكثرة توجهه ، وأنا لا أعتقد فيه عصمة وكان بشرا من البشر تعتريه حدة فى البحث وغضب ، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك .

وكان محافظا على الصلاة والصوم معظما للشرائع ظاهرا وباطنا لايؤتى من سوء فهم ، فان له الذكاء المفرط ، ولا من قلة علم،فإنه بحر زخار،ولا كان متلاعبا بالدين ولا ينفرد بمسائله بالتشهى ، ولا

يطلق لسانه بما اتفق بل يحتج بالقرآن والحديث والقياس و يبرهن ويناظر .

قال الأقشهرى فى رحلتـــه : ابن تيمية بارع فى الفقه والأصلين والفرائض والحساب وفنون أخر ، وما من فن إلا له فيه يد طولى وقلمه ولسانه متقاربان .

وقال شمس الدين ابن الحريرى قاضى الحنفية بدمشق : إنه منذ ثلاث مأة سنة مارأى الناس مثله .

وكان ابن تيمية يتكلم على المنبر على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث ، فيورد فى ساعة من الكتاب والسنة واللغة والنظر ما لا يقدر أحد على أن يورده فى عدة مجالس ، كأن هذه العلوم بين عينيه فيأخذ منها ما يشاء ويذر .

وكان يمر بالكتاب مطالعة مرة فينتقش فى ذهنه وينقله فى مصنفاته بلفظه ومعناه ، وكان من أذكياء العالم ، وله فى ذلك أمور عظيمة ، منها أن محمد بن أبى بكر السكاكينى عمل أبياتا على لسان ذمى فى إنكار القدر ، فوقف عليها ابن تيمية فثنى إحدى رجليه على الأخرى ، وأجاب فى مجلسه قبل أن يقوم بمأة و تسعة عشر بيتا .

وكان دائم الابتهال ، كثير الاستغاثة ، قوى التوكل ، رابط الجأش ، له أوراد وأذكار يدمنها قلبية وجمعية .

❖ الأسئلة :

(١) اين و متى ولد شيخ الاسلام ابن تيمية ؟

(٢) مذ متى بدأ ابن تيمية يفتى و متى أكد عليه المنع من الفتيا ؟

(٣) صف هندام ابن تيمية .

(٤) ما هى العلوم التى برع فيها شيخ الاسلام ؟

(٥) أذكر وجه الاعراب فى الكلمات التى عليها الخط .

- وما رأيت أسرع انتزاعاً للآيات منه .
- ولم ينتقل طول عمره من محنة إلا إلى محنة
- حبس مراراً فى مسائل فقهية .

(١٩)

كيف تعملت الاسلام فى الأندلس النصرانية

أطلعنى الله على دين الاسلام بواسطة والدى رحمة الله عليه وأنا ابن ستة أعوام أو أقل . مع أنى كنت إذ ذاك أروح إلى مكتب النصارى لأقرأ دينهم ثم أرجع إلى

بيتى فيعلمنى والدى دين الاسلام ، فكنت أتعلم فيهما معا ، وسنى حين حملت إلى مكتبهم أربعة أعوام،فأخذ والدى لوحا من عود الجوز كأنى أنظر الآن إليه مملسا من غير طفل ولا غيره ، فكتب لى فيه حروف الهجاء وهو يسألنى حرفا حرفا عن حروف النصارى تدريبا وتقريبا ، فاذا سميت له حرفا أعجميا كتب لى حرفا عربيا فيقول لى هكذا حروفنا ، حتى استوفى لى جميع حروف الهجاء فى كرتين ، فلما فرغ عن الكرة الأولى أوصانى أن أكتم ذلك حتى عن والدتى وعمى وأخى وجميع قرابتنا ، وأمرنى أن لا أخبر أحداً من الخلق ثم شدد على الوصية ، وصار يرسل والدتى فتسئلنى ما الذى يعلمك فأقول لها : لاشيئ ، فتقول : اخبرنى بذلك ولا تخف لأنى عندى الخبر بما يعلمك : فأقول لها : أبدا ما هو يعلمنى شيئا ، وكذلك كان يفعل عمى و أنا أنكر أشد الانكار ، ثم أروح إلى مكتب النصارى و إلى الدار فيعلمنى والدى إلى أن مضت مدة ، فأرسل إلى من إخوانه فى الله الأصدقاء ، فلم أقر لأحد قط بشيئ مع أنه - رحمه الله تعالى - قد ألقى نفسه للهلاك

لامكان أن أخبر بذلك عنه فيحرق لا محالة ، لكن أيدنا الله سبحانه وتعالى بتأييده ، وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته بين أظهر أعداء الدين .

وقد كان والدى رحمه الله تعالى يعلمنى حينئذ ما كنت أقوله عند رؤيتى للأصنام ، وذلك أنه قال لى : إذاأتيت إلى كنائسهم ورأيت الأصنام فاقرأ فى نفسك سرا قوله تعالى: "يَاَ أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوْا لَهُ ، إِنَّ الَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ لَنْ يَّخْلُقُوْا ذُبَاباً وَّلَوِ اجْتَمَعُوْا لَهُ ، وَ إِنْ يَّسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَّ يَسْتَنْقِذُوْهُ مِنْهُ ، ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوْبُ " وَ"قُلْ يَاَأَيُّهَا الْكَافِرُوْنَ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُوْنَ " إلى آخرها ، وغير ذلك من الآيات الكريمة وقوله تعالى : "وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيْماً ، وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيْحَ عِيْسَى بْنَ مَرْيَمَ رَسُوْلَ اللهِ ، وَمَا قَتَلُوْهُ وَمَا صَلَبُوْهُ وَلكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِيْنَ اخْتَلَفُوْا فِيْهِ لَفِىْ شَكٍّ مِّنْهُ ، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوْهُ يَقِيْناً ، بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ اللهُ عَزِيْزاً حَكِيْماً " .

فلما تحقق والدى رحمه الله تعالى أنى أكتم أمور دين الإسلام عن الأقارب فضلاً عن الأجانب ، أمرني أن أتكلم بافشائه لوالدتي وعمى وبعض أصحابه الأصدقاء فقط ، وكانوا يأتون إلى بيتنا فيتحدثون في أمر الدين وأنا أسمع ، فلما رأى حزمى مع صغر سنى فرح غاية الفرح وعرفنى بأصدقائه وأحبائه وإخوانه في دين الإسلام فاجتمعت بهم واحداً واحداً .

وسافرت الأسفار لأجتمع بالمسلمين الأخيار من "جيان" مدينة ابن مالك إلى غرناطة وإلى قرطبة وأشبيلية وطليطلة وغيرها من مدن الجزيرة الخضراء ، - أعادها الله تعالى للإسلام - فتلخص لي من معرفتهم أنى ميزت سبعة رجال كانوا كلهم يحدثونني بأمور غرناطة وماكان بها في الإسلام حينئذ وبما أقوله بعد وقلته قبل،فسندى عال لكونه ما تم إلا بواسطة واحدة بيني وبين الإسلام بها .

فباجتماعي بهم حصل لي خير كثير - ولله المنة - وقد قرأوا كلهم رحمهم الله على شيخ من مشايخ غرناطـــة - أعادها الله للإسلام - يقال له الفقيه

اللوطوري - رحمه الله تعالى ونفعنا به - فإنه كان رجلاً صالحاً ولياً لله فاضلاً زاهداً ورعاً عارفاً سالكاً ، ذا مناقب ظاهرة مشهورة و كرامات ظاهرة مأثورة ، قد قرأ القرآن الكريم في مكتب الإسلام بغرناطة قبل استيلاء العدو عليها ، وهو ابن ثمانية أعوام ، وقرأ الفقه وغيره على مشايخ أجلاء حسب الإمكان ، لأن الوقت ضاق في السر والإعلان ، لشدة القتال والحصر الذي كان عليهم مع صغر سنه ، ثم بعد مدة يسيرة انتزعت غرناطة من أيدي المسلمين أجدادنا ، وقد أذن العدو في ركوب البحر والخروج منها لمن أراده وبيع ما عنده وإتيانه لهذه الديار الإسلامية - أبقاها الله تعالى عامرة بالإسلام إلى يوم الدين - وذلك في مدة ثلاثة أعوام ، ومن أراد أن يقيم علي دينه وماله فليفعل بعد شروط اشترطوها وإلزامات كتبها عدو الدين على أهل الإسلام ، فلما تحركوا لذلك أجدادنا وعزموا على ترك ديارهم وأموالهم ومفارقة أوطانهم للخروج من بينهم ، وجاز إلى هذه الديار التونسية والخضرة الخضراء بعثة من جاء إليها

حينئذ ، ودخلوا في زقاق الأندلس المعروف بهذا الاسم، وذلك سنة اثنتين وتسع مأة ، وكذلك للجزائر وتطوان وفاس ومراكش وغيرها ، ورأى العدو العزم فيهم لذلك نقض العهد فردهم رغم أنوفهم من سواحل البحر إلى ديارهم ، ومنعهم قهراً عن الخروج واللحوق باخوانهم وقرابتهم لديار الإسلام ، وقد كان العدو يظهر شيئاً ويفعل بهم آخر ، مع أن المسلمين أجدادنا استنجدوا مراراً ملوك الإسلام كملك فاس ومصر حينئذ ، فلم يقع من أحدهما إلا بعض مراسلات ليقضى الله أمراً كان مفعولاً .

ثم بقى العدو ويحتال بالكفر عليهم غضباً ، فابتدأ يزيل لهم اللباس الإسلامي والجماعات والحمامات والمعاملات الإسلامية شيئاً فشيئاً مع شدة امتناعهم والقيام عليه مراراً ، وقتالهم إياه ، إلى أن قضى الله سبحانه ما قد سبق في علمه ، فبقينا بين أظهرهم وعدو الدين يحرق بالنار من لاحت عليه أمارة الإسلام ويعذبه بأنواع العذاب ، فكم أحرقوا وكم عذبوا وكم نفوا من بلادهم وضيعوا من مسلم ، فانا لله وإنا

إليه راجعون .

((سيدي محمد بن عبد الرفيع الأندلسي (١٠٥٢هـ)))

❖ الأسئلة :

١ ـ لماذا أمر أبو سيدي الأندلسي أن يكتم تعليمه الإسلام عن جميع أقربائه ؟

٢ ـ ماذا علمه أبوه أن يقول عندما يرى الأصنام ؟

٣ ـ لأي غرض سافر أسفاراً كثيرة ؟

٤ ـ من كان الفقيه اللوطوري ؟

٥ ـ بين موقع الإعراب من الكلمات المخطوطة في الجملة التالية :

ـ بقي العدو يحتال بالكفر عليهم غضبا .

ـ فابتدأ يزيل لهم اللباس الإسلامي .

ـ كم أحرقوا و ضيعوا من مسلم .

(٢٠)

وصف قلم

أهدى إلى سيدي[١] قلماً رشيقاً من دكن

---

(١) يعني الشاعر به الأستاذ الكبير السيد سليمان الندوي وقد أهدى إلى الناظم قلماً مطبوعاً عليه اسمه في رجوعه من حيدر آباد دكن .

يا حبذا تلك العلى | من ماجد حبر الزمن
هو خير ما يهدى إلى | باغى العلوم والفنن
يسقى العباد بريقه | ودمائه يحيى السنن
كم خامل نالوا به | ذكراً رفيعاً في الوطن
كم معدم حازوا به | مالاً عظيماً في المحن
تفرى الأمور بجده | ولمجده يعنو الزمن
سيف صقيل في الوغى | موت ذريع بالرسن
يرمى البغاة بسهمه | وبطرفه تخبو الفتن
كم عاجز يقوى به | بعد التذلل والوهن
كم صاغر يلقى به | عزاً عزيزاً والمنن
يرقى اللديغ بنفثه | فيهب يمشى من وسن
يروى الظماء زلاله | فكأن غماماً قد هتن
يشفى العليل بطبه | وبسحره يغبى الفتن
كم مفحم ألقى به | خطبات سحبان اللسن
يسقى الجديب بنبعه | فإذا به روض أغن

فلثمته متبركاً
وحسبته إحدى المنن

(محمد ناظم الندوي)[١]

❖ **الأسئلة :**

١ ـ ما فائدة القلم ؟

٢ ـ كيف يكون القلم سيفا ؟

٣ ـ أي بيت يدل على أن القلم يرفع الأمة الذليلة ؟

كيف يحتل الكاتب محل الخطيب المصقع ؟

٥ ـ حدد الفاعل والمفعول والحال في البيت التالي :

فلثمته متبركا　　و حسبته إحدى المنن

(٢١)

عالمكير بن شاه جهان سلطان الهند

(١)

الإمام المجاهد المظفر المنصور السلطان بن السلطان أبو المظفر محي الدين محمد أورنغ زيب عالمكير بن شاه جهان الغازي المؤيد من الله ، القائم بنصرة الدين الذي أيد الإسلام وفتح الفتوحات العظيمة وساس الأمور وأحسن إلى الرعايا ، وصرف أوقاته في القيام بمصالح الناس وبما يرضى به رب

العالمين من صيام وقيام ورياضة لا يتيسر بعضها لآحاد الناس فضلاً عن الملوك والسلاطين ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ولد ليلة الأحد بخمس عشرة خلون من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وألف بقرية دوحد على مأة أميال من أجين ، وسبعين ميلاً من بروده ، من بطن أرجمند بانو بنت آصف خان أبي الحسن بن غياث الدين الطهراني في أيام جده جهانكير بن أكبر شاه ، ونشأ في مهد السلطة وتنبل في أيام جده وأبيه ، وقرأ العلم على مولانا عبد اللطيف السلطان بوري ومولانا محمد هاشم الكيلاني والشيخ محي الدين بن عبد الله البهارى وعلى غيرهم من الأساتذة ، وأخذ خط النسخ عن الحاج القاسم والنستعليق عن السيد علي بن محمد مقيم الماهرين في الخط حتى كتب خط المنسوب وصار مضرب المثل في جودة الخط ، وبرز في كثير من العلوم والفنون وبايع الشيخ محمد معصوم بن الشيخ أحمد السرهندي ، وأخذ الطريقة عن الشيخ سيف الدين بن محمد معصوم المذكور ، وكان يلازمه بأمر والده لذلك

حتى حصلت له نفحة منه وبشره بأشياء ، واشتهر ذكره في حياة والده وعظم قدره فولاه والده الأعمال العظيمة في أرض دكن فباشرها أحسن مباشرة ، ثم حصل لوالده مرض صعب عطله عن الحركة ، وكان ولي عهده من بعده أكبر أولاده دارا شكوه ، فبسط يده على البلاد وصار هو المرجع والسلطان معنى ، فلم ترض نفوس إخوته بذلك فنهض شجاع من بنكاله ومراد بخش من كجرات وعالمكير من أرض دكن ، كل منهم يريد أن يقبض على أخيه دارا شكوه ويتولى المملكة ، فاتفق عالمكير ومراد بخش على ذلك فقاتلاه وغلبا عليه ، ثم احتال عالمكير على مراد بخش وقبض عليه ، واعتقل أخويه ثم قتلهما لأمور صدرت منهما ، وأفتى العلماء أنهما استوجبا القتل ، وحبس والده في قلعة أكبر آباد وهيأله ما يشتهيه من ملبوس ومأكول وأهل الخدمة من الجوارى والغلمان ، وكانت جهان آرا بيكم بنت شاه جهان تقيم مع والدها في القلعة ، والسيد محمد الحسيني القنوجي يلازمه ، يشتغل عليه و يذاكره في ما ينفعه في عقباه .

وجلس عالمكير على سرير الملك سنة ثمان وستين وألف فافتتح أمره بالعدل والإحسان ورفع المظالم والمكوس ، وأسر غالب ملوك الهند المشهورين وصارت بلادهم تحت طاعته ، وجبيت له الأموال وأطاعته البلاد و العباد ، ولم يزل في اجتهاد من الجهاد ولم يرجع إلى مقر ملكه وسلطنته بعد أن خرج منه ، فكلما فتح بلاداً شرع في فتح أخرى حتى لحقت حدود ملكه في الجهة الشمالية إلى حدود خيوه وبخارا ، وفي الجهة الجنوبية إلى البحر المحيط ، وفي الجهة الغربية إلى سومنات على شاطئ بحر الهند ، وفي الجهة الشرقية إلى بوري منتهى أرض أريسه .

وكان عالمكير عالماً ديناً تقياً متورعاً متصلباً في المذهب ، يتدين بالمذهب الحنفي لا يتجاوز عنه في قول ولا فعل ، وكان يعمل بالعزيمة وكان يصلى الصلوات المفروضة في أوائل أوقاتها بالجماعة في المسجد مهما كان ، ويقيم السنن والنوافل كلها ، ويصلى صلاة الجمعة في الجامع الكبير، ولو كان غائبا عن البلدة لأمر من الأمور يأتيها يوم الخميس ويصلى صلاة

الجمعة ثم يذهب حيث يشاء ، وكان يصوم في رمضان في شدة الحر، ويحي الليالي بالتراويح ، ويعتكف في العشرة الأخيرة من رمضان في المسجد ، وكان يصوم يوم الاثنين والخميس والجمعة في كل أسبوع من أسابيع السنة ، ويصوم في أيام ورد عن النبي ﷺ أنه كان يصوم فيها ، وكان يخرج الزكاة من أمواله قبل أن يجلس على سرير الملك وبعده مما خص لنفسه من عدة قرى وبعض معادن الملح للمصارف الخاصة من نقير وقطمير ، وكان يريد أن يرحل إلى الحرمين الشريفين للحج و الزيـارة في أيام والده فلم يرض بفراقه ، وبعد ذلك لم تمهله المصالح الملكية ، ولكنه كان يرسل الناس إلى الحرمين الشريفين للحج والزيارة ويبذل عليهم العطايا الجزيلة ويبعث إليهما أموالاً طائلة لأهل الحوائج في أيام الحج بعد سنة أو سنتين ، ويوظف الذاكرين والذاكرات ويجعل لهم الأرزاق السنية ، ويداوم الطهارة بالوضوء و يحافظ على الأذكار والأدعية المأثورة عن النبي ﷺ في غالب أوقاته ، ويحي الليالي المتبركة بالصلاة والصدقة وصحبة

العلماء والمشايخ في المسجد ، وكان يحترز عن كل سوء و مكروه منذ نعومة أظفاره ، لم يشرب الخمر قط ولم يقارب إمرأة لا تحل له ، وكان لا يستمع للغناء بالمزامير منذ جلس على سرير الملك مع أنه كان ماهراً في الايقاع والنغم ، وما كان أن يلبس الملبوسات غير المشروعة وما كان أن يأكل في الظروف الذهبية والفضية ، وأمر أن تصاغ الجواهر الثمينة في الحجر اليشب مقام الذهب ، ونهى الأمراء أن يلبسوا غير المشروع ، وكان يمنعهم أن يتذاكروا بين يديه بكذب وغيبة و قول الزور ، وأمرهم أن يعبروا عن الأمور المستكرهة إن وقع لهم حاجة إلى ذلك ، وكان موزعاً لأوقاته ، فوقت للعبادة و وقت للمذاكرة ، و وقت لمصالح العسكر ، و وقت للشكاة ، و وقت لقراءة الكتب و الأخبار الواردة عليه كل يوم و ليلة من مملكته لا يخلط شيئاً بشيء .

❖ **الأسئلة :**

(١) اين ولد عالمكير ومن أمه ؟

(٢) أى منطقة ولاه أبوه ؟

(٣) متى جلس عالمكير على سرير الملك ؟

(٤) بأى مذهب كان يتدين عالمكير ؟

(٥) استعمل الكلمات التالية فى الجمل المفيدة التى تتكون على الأقل من أربع كلمات .

نعومة أظفاره - تصاغ - المصالح - المملكة - يخلط - يحترز .

(٢٢)

عالمكير بن شاه جهان سلطان الهند

(٢)

ومن مآثره الجميلة أنه حفظ القرآن الكريم بعد جلوسه على سرير الملك ، فأرخ بعض العلماء لبدء حفظه من قوله "سنقرئك فلا تنسى " ولتمامه من قوله " لوح محفوظ " .

وكانت له معرفة بالحديث ، له كتاب الأربعين جمع فيه أربعين حديثاً بعد الولاية ، وترجمها بالفارسية وعلق عليها فوائد نفيسة ، وكانت له مهارة تامة في الفقه يضرب به المثل في استحضار المسائل الجزئية .

وكان بارعاً في الخط ، كتب مصحفاً بيده قبل جلوسه على السرير ، وبعثه إلى مكة المباركة ، وبعد جلوسه مصحفاً آخر وبعثه إلى المدينة المنورة ، وانتسخ الألفية لابن مالك في صباه وأرسلها إلى مكة ، لينتفع بها الناس من أهل البلدة المباركة ، وكان ماهراً في الإنشاء والترسل ، لم يكن له نظير في زمانه في ذلك ، وقد جمع المؤلفون شيئاً كثيراً من رسائله في كتب كثيرة ، وكان مقتدراً على الشعر ولكنه كان قليل العناية به ، يمنع الناس من أن يضيعوا أوقاتهم في ذلك .

و كان ماهراً في الرمى و الطعن و الضرب والفروسية ، وغيرها من الفنون الحربية شجاعاً مقداماً باسلاً ، وكان والده شاه جهان يوماً يتفرج في البرج المشرف على نهر جمن على مصارعة الأفيال ، وكان عالمكير أيضاً في الزحام ، وهو يومئذ في الرابع عشر من سنه ، وكان على فرس ، وإذا بفيلة قد ثارت ، ففر الناس كلهم و ثبت عالمكير وتوجهت إليه الفيلة ، ولفت فرسه بخرطومها وصرع عالمكير من صهوة الفرس ثم قام وسل

السيف عليها ، وجاء الناس ودفعوا الفيلة بالضرب والطعن وإيقاد النار.

وكان سخياً جواداً كريماً يبذل على الفقراء وأهل الحاجة العطايا الجميلة ويسامحهم في الغرامات ، أبطل ثمانين نوعاً من المكوس في سنة تسع وستين وألف ، ونهى عن مطالبة الأبناء بغرامات الآباء ومصادرة أموالهم في القضاء ، وبذل أموالاً طائلة على إصلاح الشوارع والطرق في نواحي الهند ، وحفر الآبار وأجرى العيون وأسس الجسور ورباطات وحمامات ومساجد واصطبلات لابن السبيل يستريح الناس بها ، نظلوا آمنين مطمئنين ، و بذل الأموال الطائلة في بناء المساجد ، وبنى مساجد كثيرة في أرض الهند ، وعمر القديمة منها ، وجعل الأرزاق للأئمة والمؤذنين والرواتب للمساجد من بسط وسرج وغير ذلك ، وأسس دور العجزة في أكثر البلاد زيادة على ما كانت فى العصور الماضية ، و المارستانات في أكثر بلاده ، وكان يرسل العطايا الجميلة إلى أهل الحرمين الشريفين - زادهما الله شرفاً - بعد سنة أو سنتين ، ووظف خلقاً كثيراً من

العلماء والمشايخ ليشتغلوا بالعلم والإفادة منقطعين فارغي القلوب عن هموم الدنيا ، و كان يتصدق بتسع و أربعين ألفاً ومأة ألف في السنة غير ما يتصدق به في الأعياد والمواسم .

وكان مقتصداً في الخيرات غير مسرف في المال لا يعطى الشعراء شيئاً ولا لأهل الايقاع والنغم خلافاً لأسلافه فإنهم كانوا يبذرون في المال تبذيراً كثيراً ، وإذا وظف العلماء أو أقطعهم اشترط بالدرس والإفادة لكيلا يتخذوها ذريعة لأخذ المال فقط .

وكان مجبولا على العدل والاحسان وفصل القضاء على وفق الشريعة المطهرة ، أمر العلماء أن يدونوا المسائل والأقضية من كل باب من أبواب الفقه ، فدونوها وصنفوا الفتاوى العالمكيرية في ست مجلدات كبار اشتهرت في الأقطار الحجازية والمصرية والشامية والرومية ، وعم بها النفع وصارت مرجعاً للمفتين ، وأنفق على جمعها مأتى ألف من النقود ، وأمر القضاة أن يقضوا بها .

وكان يظهر كل يوم بدار العدل بعد الإشراق فيعرض عليه ناظر العدلية الأقضية فيحكم بما ألقى الله سبحانه في روعه ثم يطلب الناظر بالديوان الخاص فيعرض عليه المتظلمين فيستنطق المتخاصمين ويتأمل في الأقضية ويحكم بما أراه الله سبحانه .

وهو أول من وضع الوكالة الشرعية في دور القضاء ، فولى رجلاً من أهل الدين والأمانة في دور القضاء بكل بلدة وعمالة ليكونوا وكلاء عنه فيما يستغاث عليه في الحقوق الشرعية والديون الواجبة عليه ، وأجاز للناس أن يستغيثوا عليه عند القاضى ، وهو أول من نصب المحتسبين في بلاده ، وامتاز في الملوك التيمورية في ذلك .

قال المحبى في خلاصة الأثر : هو ممن يوصف بالملك العادل الزاهد فإنه مع سعة سلطانه يأكل في شهر رمضان رغيفاً من خبز الشعير من كسب يمينه ، ويصلى بالناس التراويح ، وأمر من حين ولي السلطنة برفع المكوس والمظالم عن المسلمين ، ونصب الجزية بعد أن لم تكن على الكفار ، وتم له ذلك مع أنه لم يتم

لأحد من أسلافه ، أخذ الجزية منهم لكثرتهم وتغلبهم على إقليم الهند ، وأقام فيها دولة العلم ، وبالغ في تعظيم أهله ، وعظمت شوكته ، وفتح الفتوحات العظيمة ، وهو مع كثرة أعدائه وقوتهم غير مبال بهم مشتغل بالعبادات ، وليس له في عصره من الملوك نظير في حسن السيرة ، و الخوف من الله تعالى ، والقيام بنصرة الدين .

توفي عالمكير في دكن في شهر ذي القعدة الحرام سنة ١١١٨هـ وأقام في الملك خمسين سنة .

(نزهة الخواطر للشيخ عبد الحي الحسني)

❖الأسئلة :

(١) اذكر بعض مآثر عالمكير ؟

(٢) اذكر القصة التى دلت على عظم جراءته ؟

(٣) بماذا أمر عالمكير العلماء ؟

(٤) أين توفى عالمكير وما عام وفاته ؟

(٥) اقلب الأفعال الماضية إلى أفعال الأمر والنهي فى الجملة المذكور أدناه ، و اذكر أبوابها :

ـ و إذا وظف العلماء أو أقطعهم اشترط بالدرس والإفادة .

(٢٣)

تجارة رابحة

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِى السَّموَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ ، يَآ أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لِمَ تَقُوْلُوْنَ مَا لاَ تَفْعَلُوْنَ ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُوْلُوْا مَا لاَ تَفْعَلُوْنَ ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِيْنَ يُقَاتِلُوْنَ فِىْ سَبِيْلِه صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوْصٌ ، وَ إِذْ قَالَ مُوْسىٰ لِقَوْمِـهٖ يٰقَوْمِ لِـمَ تُؤْذُوْنَنِىْ وَقَدْ تَّعْلَمُوْنَ أَنِّىْ رَسُوْلُ اللهِ إِلَيْكُمْ ، فَلَمَّا زَاغُوْا أَزَاغَ اللهُ قُلُوْبَهُمْ ، وَ اللهُ لاَ يَهْدِىْ الْقَوْمَ الْفَاسِقِيْنَ ، وَإِذْ قَالَ عِيْسَى بْنُ مَرْيَمَ يٰبَنِيْ إِسْرَآئِيْلَ إِنِّى رَسُوْلُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُوْلٍ يَّأْتِىْ مِنْ بَعْدِىْ اسْمُهٗ أَحْمَدُ ، فَلَمَّا جَآءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوْا هٰذَا سِحْرٌ مُّبِيْنٌ ، وَمَنْ أَظْلَمَ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعىٰ إِلَى الْإِسْلاَمِ ، وَاللهُ لاَ يَهْدِىْ الْقَوْمَ الظّٰالِمِيْنَ ، يُرِيْدُوْنَ لِيُطْفِؤُا نُوْرَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ، وَاللهُ مُتِمٌّ نُوْرِهٖ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُوْنَ ، هُوَ الَّذِىْ أَرْسَلَ رَسُوْلَهٗ بِالْهُدَىٰ وَدِيْنِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهٗ عَلَى الدِّيْنِ كُلِّهٖ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُوْنَ ، يَآ أَيُّهَا

الَّذِيْنَ آمَنُوْا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيْمٍ ، تُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ وَرَسُوْلِهٖ وَتُجَاهِدُوْنَ فِىْ سَبِيْلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ، ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِىْ مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ، وَمَسٰكِنَ طَيِّبَةً فِىْ جَنّٰتِ عَدْنٍ ، ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ ، وَ أُخْرَى تُحِبُّوْنَهَا ، نَصْرٌ مِّنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيْبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِيْنَ ، يَآ أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا كُوْنُوْا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّيْنَ مَنْ أَنْصَارِىْ إِلَى اللهِ ، قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ ، فَآمَنَتْ طَّآئِفَةٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَآئِيْلَ وَكَفَرَتْ طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا عَلٰى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوْا ظَاهِرِيْنَ.

(سورة الصف)

❖ الأسئلة :

١ ـ ما هو أكبر مقتا عند الله؟

٢ ـ من يحبهم الله من المقاتلين في سبيله؟

٣ ـ لِمَ أزاغ الله قلوب بني إسرائيل ؟

٤ ـ ماذا قال عيسى بن مريم لبني إسرائيل ؟

٥ ـ أذكر شروط التجارة التي تنجي المؤمنين .

٦ ـ وماذا يترتب لهم على هذه التجارة .

(٢٤)

الشيخ نظام الدين اللكهنوى

الشيخ الامـام العـالم الكبيـر ، العلامـة الشهير صاحب العلوم والفنون وغيث الافادة الهتون العالم بالربع المسكون ، أستاذ الأساتذة وإمام الجهابذة الشيخ نظام الدين بن قطب الدين بن عبد الحكيم الأنصارى السهالوى ثم اللكنوى ، الذى تفرد بعلومه وأخذ لواءها بيده ، لم يكن له نظير فى زمانه فى الأصول والمنطق والكلام .

ولد بسهالى وتوفى والده مقتولا وهو فى الرابع عشر أو الخامس عشر من سنه ، فانتقل إلى لكهنؤ مع صنوه الكبير محمد سعيد فأعطى عالمكير بن شاه جهان سلطان الهند قصرا بذلك المقام لأبناء الشيخ الشهيد يعرف بفرنكى محل ، لأنه كان من أبنية تاجر أفرنكى ، فلما اطمأن قلبه خرج من لكهنؤ وذهب إلى بلدة جائس و قـرأ أكثر الكتـب الدراسية علـى ملا على قلى الجائسى ، ثم ذهب إلى بلدة بنارس و تلمذ على الحافظ

أمان الله بن نور الله البنارسى وقرأ عليه شرح المواقف ، ثم رجع إلى بلدة لكهنؤ وتلمذ على الشيخ غلام نقشبند بن عطاء الله اللكهنوى وقرأ عليه الرسالة القوشجية فى الهيئة ، وقرأ فاتحة الفراغ وله خمس وعشرون سنة ، ثم تصدى للدرس والافادة فتكاثر عليه الطلبة وخضع له العلماء وطارت مصنفاته فى حياته إلى الأمصار والبلاد وتلقى نظام درسه في مدارس العلماء بالقبول ، واشتهر (بالدرس النظامى) و انتهت إليه رئاسة التدريس فى أكثر بلاد الهند .

وكان مع تبحره فى العلوم وسعة نظره على أقاويل القدماء عارفا كبيرا ، زاهدا شديد التعبد ، عميم الأخلاق ، حسن التواضع، كثير المؤاساة بالناس ، و كان لا يتقيد بتكبير العمامة و تطويل الأكمام و الطيلسان، أخذ الطريقة القادرية عن الشيخ عبد الرزاق بن عبد الرحيم البانسوى ، و بايعه و له أربعون سنة .

قال السيد غلام على البلغرامى فى " سبحة المرجان" : أنا دخلت لكهنؤ فى التاسع عشر من ذى

الحجة الحرام سنة ثمان و أربعين و مأة و ألف ، واجتمعت بالملا نظام الدين فوجدته على طريقة السلف الصالحين يلمح على جبينه نور التقديس .

ومن مصنفات الشيخ نظام الدين شرحان على مسلم الثبوت للقاضى محب الله الأطول و الطويل ، و شرح على منار الأصول ، و شرح على تحرير الأصول لابن الهمام ، وشرح على المبارزية ، و حاشية على شرح هداية الحكمة للشيرازى ، و حاشية على الشمس البازغة للجونفورى ، و حاشية على شرح العضدية للدوانى ، و حاشية على الحاشية القديمة ، و له المناقب الرزاقية كتاب بالفارسى فى أخبار شيخه عبد الرزاق .

و أما تلامذته فانهم كثيرون ، أجلهم السيد كمال الدين العظيم آبادى ، والسيد ظريف العظيم آبادى ، والعلامة كمال الدين فتح بورى ، والشيخ غلام محمد البرهان فورى ، و مولانا حقانى التاندوى ، والشيخ عبد الله الأميتهوى ، والشيخ أحمد بن غلام نقشبند اللكهنوى ، وحمد الله بن شكر الله السنديلوى ، و الشيخ عبد الرشيد الجونفورى المدفون بلكهنؤ ،

و الشيخ وجيه الدين الدهلوى ، ومولانا غلام محمد عمر الشمس آبادى ، ومولانا غلام فريد المحمد آبادى ، ومولانا محمد المالكى التلمسانى ، والسيد شاكر الله السندولوى ، والشيخ محمد حسن بن غلام مصطفى ، وصنوه محمد ولى ، والشيخ أحمد عبد الحق بن محمد سعيد ، و ولده ملك العلماء عبد العلى محمد ، وخلق كثير من الناس .

توفى يوم الأربعاء لثمان خلون من جمادى الأولى سنة ١١٦١هـ فى حصاة المثانة وقد جاوز سبعين سنة .

(نزهة الخواطر للشيخ عبد الحى الحسنى)

❖ الأسئلة :

١ ـ لماذا سمى القصر الذي سكنه الشيخ نظام الدين بفرنكي محل ؟

٢ ـ على من قرأ أكثر الكتب الدراسية و أين قرأ ؟

٣ ـ ماذا قال فيه السيد غلام علي البلكرامي ؟

٤ ـ اذكر بعض أسماء مصنفاته و تلاميذه .

٥ ـ حدد أبواب الأفعال و أوزان الجموع في الجملة الآتية :

تصدى للدرس فتكاثر عليه الطلبة و خضع له العلماء وطارت مصنفاته إلى الأمصار .

(٢٥)

من الشنق إلى النفى

(١)

فى اليوم الثانى من شهر مايو سنة ١٨٦٤م جلس ايدوردس القاضى الانكليزى على كرسى فى محكمة أنباله ، وجلس بجنبه أربعة من وجهاء البلد ليروا رأيهم فى القضية ، و وقف أمام هؤلاء أحد عشر رجلا تنطق وجوههم وملامحهم بشرفهم و براءتهم ، ولكنهم من كبار الجناة والمجرمين ، فانه يقال : إنهم دبروا مؤامرة ضد الحكومة الانكليزية فى الهند ، وكانوا يساعدون أنصار السيد الامام أحمد بن عرفان الشهيد والمجاهد الجليل الشيخ إسمعيل الشهيد على حدود أفغانستان بالمال والرجال يرسلونها سرا من داخل البلاد بحكمة عجيبة ، وكانوا وضعوا لمراسلاتهم لغة رمزية ، وكانوا يجمعون إعانات من رعايا الانكليز أنفسهم ، ويرسلونها إلى مركز الثوار ، عثرت على ذلك الحكومة بوشاية جندى مسلم فى جنود الانكليز، وأسرتهم فى بتنه

وتهانيسر ولاهور وحاكمتهم ، وهذا يوم يصدر فيه الحكم عليهم .

غصت المحكمة بالزائرين فقد كانت القضية حديث المجالس ، وحان صدور الحكم فشخصت الأبصار وأصغت الآذان واضطربت القلوب وخفتت الأصوات ، وإذا بالقاضى يتكلم فى صوت الغضبان ويخاطب شابا جميلا قويا يظهر أنه ربيب نعمة وسليل شرف .

"إنك يا جعفر رجل عاقل متعلم ولك معرفة حسنة بقانون الدولة و أنت عمدة بلدك ومن سراته ، ولكنك بذلت عقلك وعلمك فى المؤامرة والثورة على الحكومة ، وكنت واسطة فى انتقال المال والرجال من الهند إلى مركز الثوار ، ولم تزد إلا أن جحدت وعاندت ، ولم تثبت أنك كنت مخلصا وناصحا للدولة ، وها أنا ذا أحكم عليك بالإعدام ومصادرة جميع ما تملك من مال وعقار ، ولا يسلم جسدك بعد الشنق إلى ورثتك بل يدفن فى مقبرة الأشقياء بكل مهانة ، وسأكون سعيداً مسرورا حين أراك معلقا مشنوقا " .

استمع الشاب فى سكينة و وقار ولم يتغير ولم يضطرب ، ولما انتهى القاضى من كلامه قال محمد جعفر : إن النفوس والأرواح بيد الله تعالى ، يحي و يميت وإنك أيها القاضى لا تملك حياة ولا مماتا ولا تدرى من السابق منا إلى منهل الموت .

فوالله ما أدرى وإنى لصادق
على أينـا تغـدو المنيـة أول

ثار الرجل غضبا وجن جنونه ، ولكنه قد أطلق آخر سهم من سهامه لا يملك غيره .

استبشر محمد جعفر حين صدر عليه الحكم وتهلل وجهه فرحا ، وكأنما تمثلت له الجنة ، وتمثلت له الحور والقصور ، و تمثل بيت الشاعر .

هذا الذى كانت الأيام تنتظر
سَيُـوفِ لله أقـوام بمـا نـذروا

قضى الناس العجب مما رأوا ، ودنا إلى محمد جعفر ضابط انكليزي يقال له بارسن ، وقال له : لم أر كاليوم قد حكم عليك بالإعدام وأنت مسرور مستبشر، قال محمد جعفر: و ما لى لا أفرح ولا أستبشر و قد

رزقنى الله الشهادة فى سبيله ، و أنت يا مسكين لا تدرى حلاوتها.

وحكم القاضى على رجلين آخرين بالاعدام أحدهما شيخ تلوح عليه سيما الصالحين وآية العابدين قد تلقى النبأ فى سرور وشكر، وهو مولانا يحيى على الصادقبورى أمير هذه الجماعة ، والآخر شاب يظهر أنه من الأغنياء والتجار الكبار وأن أصله من بنجاب وهو الحاج محمد شفيع ، وحكم على الثمانية الباقية بالنفى المؤبد .

سمع الناس المجتمعون الحكم فى حزن وأسف شديد ، و فاضت العيون و سالت الدموع ، واجتمع الناس من رجال ونساء على جانبى الشارع إلى السجن ينظرون إلى هؤلاء البؤساء ويرثون لهم .

و وصلوا إلى السجن ونزعت ثيابهم وألبسوا ثياب المجرمين ، وسجن كل واحد من الثلاثة فى حجرة ضيقة مظلمة ، لا يدخل فيها الهواء ولا ينفذ فيها النور ، وباتوا فيها فى حر شديد بشر ليلة بات قوم ، وجاءت بكرة برقية تسمح لهم بالمبيت فى الميدان .

و فى النهار أعيدوا إلى حجراتهم الضيقة ، وكان لا يمكن لأحد أن يعيش فى مثل هذه الحجرة الضيقة مدة أسبوع ، ففتح بابها وعين جندى ليحرس هؤلاء الجنود أكثرهم من الكفار ، فكان مولوى يحيى على يغتنم الفرصة ويأتسى بأسوة يوسف الصديق عليه السلام ، و يخاطب الحارس ويقول : " أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ " فيظل الرجل باكيا،فاذا نقل من مكانه حزن حزنا شديدا .

وهكذا غرس الشيخ فى قلوب كثير من أصحاب السجن عقيدة التوحيد وبذر فيها بذور الإيمان ، وكم من رجال أسلموا ، و كم من ناس تابوا ، وكان الشيخ لا يضيع فرصة ، فاذا صادف أحدا أمره بالمعروف ونهاه عن المنكر .

ويدأ زبانية السجن يضعون لهؤلاء حبلا وعودا للشنق على مرأى منهم ومسمع ، وهؤلاء يرون كل ذلك مطمئنين ، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

أما مولانا يحيى على فهو من أشد الناس فرحا، كأنه من شوق الجنة فى الجنة ومن انتظار النعيم فى

النعيم ينشد الأبيات فى حنين و وجد ، ويتمثل بما قال سيدنا خبيب رضى الله عنه عند شنقه .

ولست أبالى حين أقتل مسلما
على أى شق كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع

وكذلك رفقته ، وجوه ضاحكة مستبشرة ، ونفوس هادئة مطمئنة ، وقلوب راضية مسرورة ، خشوع فى الصلاة ، وعبادة فى نشاط ، وذكر وتسبيح وتلاوة آيات وحنين و وجد ، و إنشاد أبيات .

❖ الأسئلة :

١ ـ سم وجهاء البلد الأربعة ؟
٢ ـ ما جريمة هؤلاء الأربعة لدى الحكومة الإنجليزية ؟
٣ ـ من هما اللذان حكم القاضي عليهما بالإعدام ؟
٤ ـ أي غرس غرس و بذرة بذر الشيخ مولوي يحي في قلوب المسجونين ؟
٥ ـ حدد أداة الشرط و فعله و جوابه في البيت الآتي و كون ثلاث جمل على مثاله :

وذلك في ذات الإله و إن يشاء
يبارك على أوصال شلو ممزع

(٢٦)

من الشنق إلى النفى

(٢)

مات القاضى الانكليزى الذى حكم على هؤلاء الثلاثة بالاعدام فجأة على إثر الحكم ، وجن الضابط الانكليـزى بارسن ، الذى ألقى القبض على محمد جعفر، وضربه يوما من الساعة الثامنة صباحا إلى الساعة الثامنة مساءا، ومات فى جنونه شرَّ ميتة ، فكان كما أنذر محمد جعفر " و رب أغبر اشعث لو أقسم على الله لأبَره " .

وكان يدخل إلى السجن كثير من الانكليز والأفرنجيات ، يتفرجون على هؤلاء السجناء ويشمتون بمصير الأعداء ، وكانوا يقضون العجب من سرورهم ونشاطهم ، ويسألونهم لماذا لا تحزنون يا هؤلاء وأنتم على عتبة الموت و على موعد من الشنق ؟ فيجيبونهم : هذا لأجل الشهادة التى ليس فوقها نعمة وسعادة .

ويرجعون إلى الحكام الانكليز ويحدثونهم بما رأوا وبما سمعوا ، فيزدادون غيظا على غيظ ، ولكن ما ذا

يصنعون ؟ إنهم إذا أطلقوهم فقد أطلقوا أعداءا قد ثاروا على الدولة ، وإنهم سيرجعون إلى ذلك ، وإذا شنقوهم وقتلوهم فقد بلغوهم أملهم واجتهدوا فى سرورهم .

قد عز على الانكليز كل ذلك ولم تطب أنفسهم به ، فكروا فى القضية وفكروا وفكروا و وجدوا طريقا وسطا بين القتل و الاطلاق ، و الانكليز أمة قانونية ذكية .

فى يوم من الأيام جاء حاكم المدينة الانكليزى إلى السجن وتلا على الثلاثة المحكومين عليهم بالاعدام حكم محكمة الاستئناف .

" إنكم أيها الثوار تحبون الشنق وتعدونه شهادة فى سبيل الله ، ولا نريد أن نبلغكم أملكم وندخل عليكم السرور ، فننسخ حكم الاعدام ونحكم عليكم بالنفى المؤبد إلى جزائر سيلان .

وهنا قصت لحاهم وشعر رؤوسهم ، وكان مولانا يحيى على يرفع الشعر و يخاطب لحيته المقصوصة و يقول :

وفى سبيل الله ما لقيت

وشنق إنكليزى بحبل وعود قد أعدا لأولئك المسلمين فانعكست القضية .

وأمر المسجونون بالاشتغال بأعمال شاقة ، وأمر مولانا يحيى على بنزع الدلاء من بئر ، وكانت كبيرة وثقيلة لا ينزعها الشبان الأقوياء إلا بشق الأنفس ، والأستاذ شيخ ضعيف ، وكا ن اليوم صائفا شديد الحر فنزفه الدم فى بوله ، ولكنه استمر فى شغله صابرا محتسبا لا يشكو ولا يئن ، ثم نقل إلى عمل سهل ، فكان يقوم به بأمانة ونصيحة ، ويوصى المسجونين الآخرين بذلك أيضا ويقول لهم : إذا كنتم تتمتعون هنا بطعام ولباس فما بالكم لا تؤدون وظيفتكم بأمانة ونصيحة .

ولم يزل الشيخ فى السجن آمراً بالمعروف ناهيا عن المنكر داعيا إلى الله واعظا مرشدا ، فتاب كثير من المجرمين وأنابوا إلى الله .

ونقل الشيخ من أنباله إلى لاهور ، وأقام فى سجنه عاما كاملا ، وكان هنالك الجناة و اللصوص وقطاع الطريق و الفساق ، فكان يقبح لهم الجنايات و الفسوق

و العصيان ، و يزين لهم الدين و التقوى و العفاف ، و يحثهم على الطاعة والتوبة والانابة وإصلاح الحال ، ويدعوهم إلى التوحيد والمحافظة على الصلاة والصيام ، ويحذرهم من عذاب الله ونقمته ، فتاب كثير من اللصوص وقطاع الطريق ، وحسن حالهم ، وأخلصوا لله الدين ، و تابوا و أقاموا الصلاة .

وكان من هؤلاء رجل من بلوجستان ، وكان شديد البطش جبارا ، وقد سطا بخدم السجن مرارا وضربهم بسلاسله ، وكان لا يقوم بأعماله ووظائفه ، وقد عوقب عقابا شديداً فلم يتب ولم يلن ، وقد يئس منه زبانية السجن وقطعوا منه الرجاء ، و صادف مبيته مرة بالقرب من الشيخ ، وأثر كلامه فى قلبه فحسن حاله وصار يؤدى وظيفته و فكت سلاسله وأغلاله فصار يحافظ على الصلوات الخمس ، ويبكى خوفا من الله ، ومن رأه شهد بأنه ولى من أولياء الله .

ولم يزل الشيخ و رفقته ينتقلون من سجن إلى سجن ومن محبس إلى محبس ، حتى وصلوا الثامن من ديسمبر سنة ١٨٦٥م إلى بورت بلير من جزائر إندمان

و مات الشيخ هنا بعد عامين قضاهما فى عبــادة و دين و دعوة الخلق إلى الله ، وكان ذلك لعشرين من فبراير سنة ١٨٦٨م .

أما الشيخ محمد جعفر فقد صدر الحكم بالعفو عنه وإطلاقه فى الثانى والعشرين من يناير سنة ١٨٨٣م بعد ما لبث فى السجن ثمانية عشر عاما .

(من ''إذا هبت ريح الايمان'' للمؤلف)

❖ الأسئلة :

١ ـ ماذا حدث للقاضي الإنكليزي والضابط الإنكليزي .

٢ ـ لماذا نسخ قاضي محكمة الاستئناف حكم الإعدام بالنفي المؤبد ؟

٣ـ ماذا كان يصنع مولانا يحي عندما قصت لحيته .

٤ ـ بم كان يوصي المسجونين الآخرين مولانا يحي .

٥ ـ إملأ الفراغات في العبارة التالية :

لم يزل ...... في السجن ...... بالمعروف

ناهيا .... المنكر .... إلى الله ....

كثير .... المجرمين .... إلى ......

(٢٧)

الشيخ عبد العزيز الدهلوى

الشيخ الامام العالم الكبير العلامة المحدث عبد العزيز بن ولى الله بن عبدالرحيم العمرى الدهلوى ، سيد علمائنا فى زمانه وابن سيدهم ، لقبه بعضهم سراج الهند ، و بعضهم حجة الله .

ولد ليلة الخميس لخمس ليال بقين من رمضان سنة ١١٥٩هـ ، حفظ القرآن و أخذ العلم عن والده ، فقرأ عليه بعضا وسمع بعضا آخر بالتحقيق والدراية والفحص حتى حصلت له ملكة راسخة فى العلوم ، ولما توفى أبوه إلى جوار رحمة الله تعالى و رضوانه وله ست عشرة سنة ، أخذ عن الشيخ نورالله البُرهانوى و الشيخ محمد أمين الكشميرى ، وأجازه الشيخ محمد عاشق بن عبيدالله البهلتى ، وكانوا من أجلة أصحاب والده فاستفاد منهم ما فاته على أبيه .

كان رحمه الله أحد أفراد الدنيا بفضله وآدابه وعلمه و ذكائه ، و فهمه ، و سرعة حفظه ، اشتغل

بالدرس و الافادة و له خمس عشرة سنة ، فدرس وأفاد حتى صار فى الهند العلم المفرد ، وتخرج عليه الفضلاء وقصدته الطلبة من أغلب الأرجاء وتهافتوا عليه تهافت الظمآن على الماء ، هذا و قد اعترته الأمراض المؤلمة وهو ابن خمس وعشرين ، فأدت إلى المراق و الجذام والبرص والعمى ونحو ذلك حتى عد منها أربعة عشر مرضا مفجعا ، و من ذلك السبب فوض تولية التدريس فى مدرسته إلى صنويه رفيع الدين وعبد القادر ، و مع ذلك كان يـــدرس بنفســه النفيســة أيضا و يصنف و يفتى و يعظ ، و مواعظه كانت مقصورة على حقائق التنزيل فى كل أسبوع يوم الثلاثاء ، وكان فى آخر عمره لا يقدر أن يقعد فى مجلس ساعة فيمشى بين مدرستيه القديمة والجديدة ، و يشتغل عليه خلق كثير فى ذلك الوقت فيدرس ويفتى ويرشد الناس إلى طريق الحق ، وكذلك يمشى بين العصر و المغرب ويذهب إلى الشارع الذى بين المدرسة و بين الجامع الكبير فيتهادى بين الرجلين يمينا و شمالا ، ويترقب الناس قدومه فى الطريق ويستفيدون منه فى مشكلاتهم ، و من الأمراض

المؤلمة فقد الاشتهاء إلى حد يقضى أياما وليالى لا يذوق طعم الغذاء حتى صار الأكل غبا بطريق النوبة كالحمى .

و كان مع هذه الأمراض المؤلمة و الأسقام المفجعة لطيف الطبع حسن المحاضرة جميل المذاكرة فصيح المنطق مليح الكلام ذا تواضع و بشاشة وتودد لا يمكن الإحاطة بوصفه ، و مجالسته هي نزهة الأذهان و العقول مما لديه من الأخبار التي تنشف الأسماع و الأشعار المهذبة للطباع والحكايات عن الأقطار البعيدة وأهلها وعجائبها بحيث يظن السامع أنه قد عرفها بالشهادة ، و لم يكن الأمر كذلك فانه لم يعرف غير كلكته ، ولكنه كان باهر الذكاء قوى التصور كثير البحث عن الحقائق ، فاستفاد ذلك بوفود أهل الأقطار البعيدة إلى حضرة دهلى ، و لأنه قد صنف الناس فى الأخبار مصنفات يستفيد بها مما يقرب من المشاهدة .

وكان الناس يقصدونه ليستفيدوا من علمه والأدباء ليأخذوا من أدبه ويعرضوا عليه أشعارهم ، والمحاويج يأتونه ليشفع لهم عند أرباب الدنيا ويواسيهم

بما يمكنه ، وكرمه كلمة إجماع ، و المرضى يلوذون به لمداواتهم ، وأهل الجذب و السلوك يأتونه ليقتبسوا من أشعة أنواره ، و غُرباء الديار من أهل العلم والصلاح ينزلهم و يحسن مثواهم و يفضل عليهم بما يحتاجون إليه ، ويسعى فى قضاء أغراضهم ونيل مطالبهم ، وإذا جالسه منحرف الأخلاق أو من له فى المسائل الدينية بعض شقاق جاء من سحر بيانه بما يؤلف بين الماء والنار ويجمع بين الضب والنون فلا يفارقه إلا وهو عنه راض .

قال الشيخ محسن بن يحيى الترهتى فى " اليانع الجنى " إنه قد بلغ من الكمال والشهرة بحيث ترى الناس فى مدن أقطار الهند ، يفتخرون باعتزائهم إليه بل بانسلاكهم فى سمط من ينتمى إلى أصحابه .

قال: ومن سجاياه الفاضلة الجميلة التي لا يدانيه فيها عامة أهل زمانه قوة عارضته ، لم يناضل أحدا إلا أصاب غرضه وأصمى رميته وأحرز خصله ، و من ذلك براعته فى تحسين العبارة و تحبيرها و التأنق فيها وتحريرها حتى عده أقرانه مقدما من بين حلبة رهانه ،

وسلموا له قصبات السبق فى ميدانه ، ومنها فراسته التى أقدره الله بها على تأويل الرؤيا فكان لا يعبر شيئا منها إلا جاءت كما أخبر به كأنما قد رآها ، وهذا لا يكون إلا لأصحاب النفوس الزاكيات المطهرة عن أدناس الشهوات الردية و أرجاسها ، و كم له من خصال محمودة وفضائل مشهودة ، وجملة القول فيه أن الله تبارك و تعالى قد جمع فيه من صنوف الفضل و شتاته التى فرقها بين أبناء عصره فى أرضه ما لو رآه الشاعر الذى يقول :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتا

لدى المجد حتى عد ألف بواحد

استبان له مثل ضوء النهار أنه وإن كان عنده أنه قد بالغ فيه فانه قد قصر ، فكيف الظن بأمثالى أن يحسن عد مفاخره التى أكثر من حصى الحصباء و من نجوم السماء،انتهى .

وكان طويل القامة نحيف البدن أسمر اللون أنجل العينين كث اللحية ، و كان يكتب النسخ

و الرقاع بغاية الجودة ، و كانت له مهارة فى الرمى والفروسية و الموسيقى .

وللشيخ عبد العزيز مؤلفات كلها مقبولة عند العلماء محبوبة إليهم يتنافسون فيها ويحتجون بترجيحاته و هو حقيق بذلك ، وفى عبارته قوة وفصاحة وسلاسة تعشقها الأسماع و تلتذ بها القلوب ، ولكلامه وقع فى الأذهان قل أن يمعن فى مطالعته من له فهم فيبقى على التقليد بعد ذلك ، وإذا رأى كلاما متهافتا زيفه ومزقه بعبارات عذبة حلوة .

وأما مصنفاته فأشهرها تفسير القرآن المسمى بفتح العزيز صنفه فى شدة المرض ولحوق الضعف إملاءا، و هو فى مجلدات كبار، ولكنها ضاع معظمها فى ثورة الهند وما بقى منها إلا مجلدان من أول وآخر ، ومنها الفتاوى فى المسائل المشكلة ومنها " تحفة اثنا عشرية " فى الكلام على مذهب الشيعة كتاب لم يسبق مثله ، ومنها كتابه " بستان المحدثين " و هو فهرس كتب الحديث و تراجم أهلها ببسط وتفصيل ولكنه لم يتم ، و منها "العجالة النافعة " رسالة له بالفارسية فى أصول الحديث و له غير ذلك من الرسائل .

وأما مصنفاته فى المنطق و الحكمة فمنها حاشية على " مير زاهد رساله " وحاشية على "مير زاهد ملا جلال " و حاشية على "مير زاهد شرح المواقف " و حاشية على "حاشية ملا كوسج" المعروفة بالعزيزية ، و حاشية على "شرح هداية الحكمة " للصدر الشيرازى .

وله شرح على أرجوزة الأصمعى و له مراسلات إلى العلماء والأدباء و تخميس نفيس على قصيدتى والده البائية و الهمزية .

وكان نسيج وحده فى النظم والنثر و قوة التحرير وغزارة الاملاء و جزالة التعبير ، و كلامه عفو الساعة و فيض القريحة ، ومسارعة القلم و مسابقة اليد .

توفى بعد صلاة الفجر يوم الأحد لسبع خلون من شوال سنة ١٢٣٩هـ وله ثمانون سنة ، وقبره بدهلى عند قبر والده خارج البلدة .

(''نزهة الخواطر'' للشيخ عبد الحى الحسنى رحمه الله)

❖ الأسئلة :

١ ـ متى ولد الشيخ عبدالعزيز الدهلوي ومن أبوه ؟

٢ ـ ماذا قال فيه الشيخ محسن بن يحي الترهتي في اليانع الجني ؟

٣ ـ اذكر من سجايا ه ما تميزيه عن أهل زمانه .
٤ ـ أذكر ثلاثة من مؤلفاته .
٥ ـ استعمل الكلمات الآتية في الجمل الإسمية :
نسيج وحده ـ عفو الساعة ـ سبع خلون ـ يتنافسون .
ـ تلتذ ـ يُعبِّر .

(٢٨)

دار العلوم ديوبند ومدرسة مظاهر العلوم

(١)

انقرضت دولة المسلمين فى الهند و رسخت قدم الانكليز فى أرضها سنة ١٨٥٧م ، فانبث القسوس والأحبار فى القرى والمدن يدعون الناس إلى النصرانية ، ويناظرون علماء المسلمين بسلطان دولتهم ، ويغرسون فى قلوب العامة الشك والزيغ ، وقام بعض المسلمين الذين دخلهم الرعب يدعون إلى تعلم اللغة الانكليزية وآدابها على علاتها ، ويرون فى ذلك دواءا لكل داء ، وتدرجوا إلى دعوة تقليد الحضارة الغربية ومحاكاة سادة البلاد فى كثير من أخلاقهم و أساليب حياتهم ، فكان المسلمون بين خطرين خطر الارتداد و خطر الالحاد .

و كانت المدارس الدينية و حلقات التدريس التى تخرج منها أئمة و علماء كبار فى احتضار تلفظ نفسها الأخير لعدم حماية الدولة وقلة رغبة الناس فى العلوم الدينية ، وكان كلما تعطلت مدرسة لم تخلفها مدرسة ، وكلما مضى عالم أو أستاذ كبير لم يخلفه آخر ، والمدارس الرسمية تزداد كل يوم عددا وتتمتع بحماية الدولة ومساعدة الجمهور .



دارالعلوم ديوبند

هذا و قد نشط دعاة البدع و الخرافات والمحترفون الذين انتشروا فى القرى و المدن يدعون إلى رسوم الجاهلية و المحدثات ، ويأكلون أموال الناس بالباطل ،

و يصدون عن سبيل الله ، ويضللون العلماء الأخيار ويكفرونهم .

خاف علماء الحق على الدين و على علـوم الدين و خافوا على مستقبل الاسلام فى بلاد الهند بعد زوال دولته و حلول دولة الكفار، و رأوا أنهم لا تنجدهم دولة ولا تحميهم قوة ، ولا يملكون أموالا ينفقونها و لا مناصب و وظائف يجذبـون الناس إليها ، و إنما هم مستضعفون فى الأرض ."فقراء " ثروتهم العلم ، ورأس مالهم الدين ، و زادهم التوكل ، و سلاحهم الاخلاص ، فقاموا وقالوا ، نبنى معقلا للدين تأوى إليه الشريعة الاسلامية وتلجأ إليها العلوم الدينية .

فى قرية ديوبند من القرى التابعة لمدينة سهارن بور فى مسجد صغير اجتمعت عصابة من أهل الغيرة و الفراسة من العلماء الربانين أكثرهم من تلاميذ بيت الامام ولى الله الدهلوى و أصحاب الشيخ الكبير إمداد الله التهانوى المكى ، على رأسهم الشيخ الكبير مولانا محمد قاسم النانوتوى (م١٢٩٨م) وأسسوا تحت شجرة

رمان هنالك مدرسة دينية ، كان ذلك سنة ١٢٨٣ للهجرة النبوية .

افتتحت المدرسة بمعلم واحد هو الملا محمود الديوبندى وتلميذ واحد وهو الشيخ محمود حسن الديوبندى ، فكان يوما مشهودا محمودا فى تاريخ الهند الدينى .

بدأت المدرسة باعانة فقراء المسلمين و عامتهم و رزقت من أول يومها رجالا عاملين مخلصين وأساتذة خاشعين متقين ، قد تولى الاشراف على شئونها أمثال العالم الربانى الشيخ الكبير مولانا رشيد أحمد الكنكوهى و الشيخ رفيع الدين الديوبندى ، و المصلح الجليل و المؤلف الكبير الشيخ أشرف على التهانوى ، و تولى رئاسة التدريس فيها أمثال الشيخ الصالح مولانا محمد يعقوب النانوتوى و العالم الربانى الشيخ محمود حسن الديوبندى والعالم الضليع الشيخ أنور شاه الكشميرى ، و المجاهد الشهير مولانا حسين أحمد المدنى ، فسرت روح التقوى و الاحتساب والتواضع

والخدمة فى هذه الدار ، فاذا زارها أحد فى دورها الأول حسب أنه فى زاوية عامرة من زوايا الصوفية .

و لم يزل نطاق المدرسة يتسع وصيتها يذيع و شهرة أساتذتها فى الصلاح و التقوى والتبحر فى علم الحديث والفقه تطير فى العالم حتى أمها الطلبة من أنحاء الهندومن الأقطار الاسلامية الأخرى ، حتى بلغ عددهم فى الزمن الأخير إلى خمس مأة و ألف و زيادة ، ويلغت ميزانيتها إلى ثلاث مأة ألف وخمسين ألف ربية سنويا .

ويقدر عدد الذين اشتغلوا فى هذه المدرسة بالعلم بأكثر من عشرة آلاف ، و الذين نالوا الشهادة منها بنحو خمسة آلاف ، و الذين ارتووا بمناهلها من أهل خارج الهند كياغستان و أفغانستان و خيوا و بخارا و قازان و روسيا و آذر بائيجان ، والمغرب الأقصى وآسيا الصغرى وتبت ، و الصين و جزائر بحر الهند ، والحجاز و العراق والبلاد الشامية واليمن نحو خمسمائة .

و كان للمتخرجين من دار العلوم تأثير كبير فى حياة المسلمين الدينية فى الهند وفضل كبير فى محو

البدع وإزالة المحدثات وإصلاح العقيدة والدعوة إلى الدين واتباع السنة ، ومناظرة أهل الضلال والرد عليهم ، وكانت لبعضهم مواقف محمودة فى السياسة والدفاع عن الوطن ، وكلمة حق عند سلطان جائر .

و لدارالعلوم مكتبة تحتوى على مأة ألف كتاب ، كثير منها مكرر للدرس وفيها عدد من الكتب الخطية .

وشعار دار العلوم التمسك بالدين و التصلب فى المذهب و عدم العدول عنه ، والمحافظة على القديم والدفاع عن السنة ، والانتصار لرهط الامام ولى الله الدهلوى .

وقد تمسكت بالدرس النظامي على علاته ، وعضت عليه بالنواجذ ، وقد بدأت أخيراً دعوة التغيير والإصلاح في منهاج التعليم ، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا .

❖ الأسئلة :

١ ـ كيف بدأ التعليم في ديوبند ؟

٢ ـ من هو أول معلم و أول تلميذ لدارالعلوم بديوبند ؟

٣ ـ بكم يقدر عدد المتخرجين الذين نالوا الشهادة منها ؟

٤ ـ أذكر شعار دارالعلوم بديوبند .

٥ ـ أعرب الجملة الآتية :

ولدارالعلوم مكتبة كبيرة تحتوي على مائة ألف كتاب .

(٢٩)

دارالعلوم ديوبند و مدرسة مظاهر العلوم

(٢)

و فى نفس سنة ١٢٨٣هـ بعد افتتاح دار العلوم ديوبند ببضعة أشهر افتتح رجال من أهل العلم و الدين (فى مقدمتهم مولانا سعادت على السهارنفورى الفقيه المشهور (م ١٢٨٦هـ) من بقية رهط السيد الامام أحمد بن عرفان الشهيد) مدرسة ثانية فى سهارن فور ، وكان مولانا سعادت على يدرس الطلبة فى بيته ، و كان يتمنى أن تتأسس مدرسة نظامية فى البلد وكثيرا ما كان يتحدث بذلك ، وفى شهر رجب من العام المذكور حقق الله أمنيته ، فقام رجال من أهل الصلاح و العلم من أصدقائه و معارفه فى المدينة وضواحيها ، و افتتحوا مدرسة فى حى من أحياء البلد فى مسجد ،

و ولوا الشيخ سخاوت على الأنبيتهوى التدريس فيها ، و بقى مولانا سعادت على يدرس بعض الدروس و يشرف على شؤون المدرسة ، وآل الاشراف على المدرسة بعد وفاته إلى الشيخ فضل الرحمن قاضى البلد .

وفى شوال في العام المذكور تولى رئاسة التدريس الأستاذ الكبير مولانا محمد مظهر النانوتوى ، و به تسمت المدرسة بمظهر العلوم ، و زيدت فيها ألف لتنم عن عام بناء بناية المدرسة الخاصة بها يعنى عام ١٢٩٣هـ على حساب الجمل ، و انتقلت المدرسة فى المسجد إلى هذه البناية فى شوال ، وفى اليوم الثامن من هذا الشهر عقد أصحاب المدرسة حفلة بمناسبة افتتاحها فى بنايتها الجديدة ، خطب فيها الشيخ الكبير مولانا محمد قاسم النانوتوى خطبة رقيقة بليغة استغرقت ثلاث ساعات .

و فى سنة ١٢٩٣هـ أيضا بدأ المحدث الكبير الشيخ أحمد على السهارنفورى صاحب حاشية البخارى الشهيرة يدرس كتب الحديث فى المدرسة و يشرف على

شؤونها ، و بعد وفاة الشيخين أحمد على و سخاوت على (عام ١٢٩٧هـ و ١٣٠٢هـ) تداول التدريس فيها مولانا عبد العلى الميرتهى و مولانا حبيب الرحمن بن الشيخ أحمد على حتى تبوأ رئاسة التدريس الشيخ صالح و الأستاذ الكبير مولانا خليل أحمد الأنبيتهوى صاحب بذل المجهود سنة ١٣١٤هـ فأخذت المدرسة زخرفها وبلغت أوجها فى كثرة الطلبة و انتشار الصيت و انتظام الدروس .



مدرسة مظاهر العلوم

و فى سنة ١٣٢٦هـ جاء الشيخ محمد يحيى الكاندهلوى من أنجب تلاميذ الشيخ الكبير مولانا رشيد أحمد الكنكوهى و المعروف بذكائه و إبداعه فكان

مساعدا للشيخ خليل أحمد رحمه الله .

و فى شوال سنة ١٣٤٤هـ لما رحل الشيخ خليل أحمد إلى الحجاز تولى رئاسة التدريس مولانا عبدالرحمن الكامل فورى والاشراف على المدرسة مولانا عبد اللطيف السهارنفورى ، وتولى تدريس الحديث فيها تلميذ الشيخ خليل أحمد البارع مولانا محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوى صاحب أوجز المسالك .

ولم تزل مدرسة مظاهر العلوم متمتعة من أول يومها بحماية أعلام الهند فى الدين والصلاح ، كالعالم الربانى الشيخ رشيد أحمد الكنكوهى و الشيخ محمد الياس الكاندهلوى و الشيخ عبد القادر الرائي فورى ، وحازت ثقة المتدينين فكانت تلو معهد ديوبند فى كثرة الطلبة و نبوغ الأساتذة ، وقد خرجت عددا كبيرا من العلماء الصالحين و الرجال العاملين فى ميادين العلم و الدين .

ولعلماء مدرسة مظاهر العلوم آثار جليلة فى شرح كتب الحديث وخدمة هذا الفن الشريف ، من أجلها بذل المجهود فى شرح سنن أبى داؤد للشيخ خليل أحمد ،

وأوجز المسالك فى شرح المؤطا للامام مالك للشيخ محمد زكريا الكاندهلوى.

وتمتاز مدرسة مظاهر العلوم و أساتذتها و طلبتها ببساطة في المعيشة و القناعة بالكفاف و حسن السمت و التواضع و الاقبال الكلى على العلم و الدرس والاشتغال بخاصة النفس .

❖ **الأسئلة :**

١ ـ من افتتح المدرسة المسماة بمظاهر العلوم بسهارنفور؟
٢ ـ ومن تسمت المدرسة باسمه ؟
٣ ـ علام تدل الألف في " مظاهر" ؟
٤ ـ اذكر الميزات التي تمتاز بها مدرسة مظاهر العلوم ؟
٥ ـ ميّز أقسام الكلمة في العبارة الآتية :

وحازت المدرسة ثقة المتدينين ، فكانت تلو معهد ديوبند في كثرة الطلبة و نبوغ الأساتذة .

(٣٠)

من النجـوم إلى الأرض

(١)

درست في المدرسة أمس أن النور يقطع مائة ألف وستة وثمانين ميلا في ثانية ، وأنه يمكن له أن يطوف حول خط الاستواء سبعة أشواط في أقل من ثانية .

وسمعت أن من النجوم ما لا يصل ضوؤه إلى الأرض إلا في ألفى عام ، و منها مالا يصل ضوؤه إلا في أكثر من ذلك ، وأن ضوء بعض النجوم منذ طلعت لا يزال في طريقه إلى الأرض و لما يصل إليها .

لي غرام شديد بالتاريخ ، لا أزال أطالعه برغبة عظيمة ، وأتمثله أمام عيني ، كأن الحوادث واقعة ، والأشخاص أحياء ، ولا أزال أتأسف على ما فاتني من مشاهدة الحوادث في ساعتها ، ومن زيارة رجال من عظماء التاريخ في زمانهم ، ولم أزل من صباي أقول لوالدي وأصدقائي : يا ليتني ولدت في الزمن الماضي ، فشاهدت كذا و كذا من الوقائع ، و زرت فلانا و فلانا من الرجال ، لقد غاب عني طوفان نوح ، و محنة

إبراهيم ، وخروج بني إسرائيل ، وسبقتني بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام بأكثر من ألف عام ، وفاتني عهد الخلافة الراشدة ، وفاتتني حضارة بغداد ، وعهد قرطبة و غرناطة ، و فاتني ، و فاتني ، و فاتني....

وكنت أعد الحوادث الكبيرة ، والرجال العظماء ، وأقول في حزن وأسف : لقد تأخرت كثيرًا ، فليت الزمان يعود ، وليت البشر يستأنفون السفر ، وليت العالم يرجع القهقرى ، وليت التاريخ يرد على أعقابه ، فأشاهد ما مضى ، و أعاشر من سبق .

وكنت أفكر لو كان أحد فوق نجم لا يصل ضوؤه إلى الأرض إلا في آلاف أو مئات من السنين لرأى العالم كما كان قبل آلاف أو مئات من السنين ، وكذلك يمكن أن يطالع أهل النجوم أدوار التاريخ الماضية ، ويشاهدوا الحوادث ، والأشخاص في زمنهم وفي محلهم .

سررت من ذلك جدا ، كأني وجدت ضالتي ، وعرضت هذه الفكرة البديعة على معلم الطبيعيات ، لأني لا آمن على نفسي الخطأ .

قال المعلم : نعم ، إذا فرضنا أن أحدا فوق الشمس ـ وهي تبعد من الأرض ثلاثة وتسعين مليون ميل ـ فإنه يرى في الأرض ما وقع قبل ثماني ثوان فقط ، فإن ضوء الشمس يصل إلى الأرض في ثماني ثوان .

وهكذا نتدرج ونقول : من كان فوق النجوم العالية التي يصل ضوؤها إلى الأرض في آلاف من السنين ، لكانوا يرون حوادث قبل التاريخ ، وما وقع قبل آلاف من السنين .

لم أزل أفكر في ارتفاع النجوم وبعدها عن الأرض ، و مطالعة أهلها لما وقع في الأرض ، حتى لم أشعر إلا و أني في مكان أطالع فيه الأرض بمكبرة كبيرة .

فإذا بي أرى الأرض غير الأرض التي كنت أعرفها ، والناس غير الذين عهدتهم ؛ أرى المساجد عامرة غاصة بالمصلين ، وأرى الحدود قائمة ، وأحكام الشرع نافذة ، وأجيل مكبرتي ، وأنظر من خلالها ، فلا أرى فجورا ، ولا دعارة ، ولا سكرا ، ولا قمارا .

واطلعت على بقعة فيها نخل كثير ، ومسجد بسيط ، قد غشيته سحابة من النور والبركة ، وعرفت

أنها مدينة الرسول ﷺ ، ورأيت بيوتا متواضعة ، قد بني أكثرها من اللبن ، ولكني رأيت هنالك سفراء الدول الكبيرة ، وأبناء ملوك قد أسلموا ، فعرفت أن هذه المدينة الصغيرة مع بساطتها تحكم العالم ، ويجيئ إليها خراج إيران و رومة .

وبحثت في هذه المدينة فلم أجد فيها محكمة ، ولا سجنا ، فقلت في نفسي : فأين يذهب المتخاصمون ؟ وأين يحبس المجرمون ؟ فإذا بي أرى رجلا جالسا في مسجد الرسول في ثياب مرقوعة ، ألقيت عليه مهابة وجلال ، قد حضر لديه خصمان ، ورفعا إليه القضية في بساطة الأعراب ، وقالا :خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط .

سمع الرجل القضية في هدوء و تأن ، وقال للمدعي "البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر" فهل عندك بينة أو أستحلف الرجل ؟ " وقدم الرجل شهودا عدولا ، فقضى له ، وانفصلت القضية في ساعة ،

وقام الفريقان ورضيا بحكم الشرع ، فقلت : ولا يحتاج هؤلاء إلى محكمة ومحامين .

ورأيت أبواب البيوت في الليل مفتوحة ، ورأيت بيت المال وقد أتى إليه خراج إيران في ذلك اليوم ، ليس له حارس ، ولا شرطة ، وقد جاء تاج كسرى وهو يساوي مئات آلاف من الدنانير ، وقد وقع إلى جندي حقير ، فأداه إلى أمير الجند ، وأرسله أمير الجند إلى الخليفة ، وجاء بعض السراق وسرقوا : فقطعت يدهم ، فقلت : لا يحتاج هؤلاء إلى سجن أو محبس .

وأشرفت على بيوتهم فوجدت معيشة صافية ، وحياة راضية لا يكدرها حسد ، ولا بغضاء ، ولا طمع ، ولا جشع ، يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ويهدي جار إلى جار فتدور الهدية على الحي ، وترجع إلى صاحبها الأول ، لا يأكل فيهم القوي الضعيف ، ولا يظلم الكبير منهم الصغير ، يحنو عليهم الخليفة والأمراء ، فهم لهم كالآباء ، ويطيعهم العامة ، ويوقرونهم ، وينصحون لهم ، فهم لهم كالأبناء ، ويتناصحون بينهم ، فهم إخوة .

واطلعت على ثكناتهم – وسمعت أن الجند أفسد الناس أخلاقا، وأبعدهم عن الدين والفضيلة في كل زمان – فوجدتهم بالليل رهبانا، لهم دوي كدوي النحل، وأما بالنهار ففرسان يثقفون القنا، ويريشون النبل، يوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، لا يأكلون في ذمتهم إلا بثمن، ولا يدخلون إلا بسلام، ويعفون عن المحارم، ويغضون البصر، فقلت: إذا كان الجند فيهم هكذا فكيف بالعباد الزهاد؟!

قلت لعل هذا دور الخلافة الراشدة، وصدقت ما قرأت في التاريخ، وقلت: ذلك قليل من كثير..

(٣١)

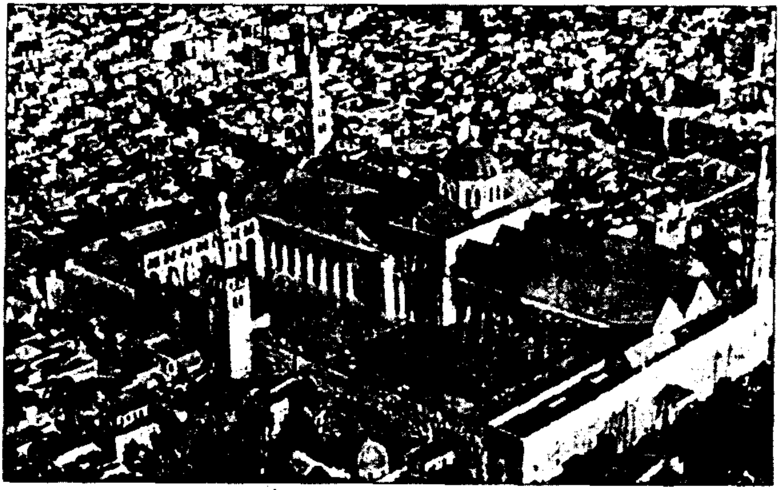
من النجوم إلى الأرض

(٢)

ونزلت أسفل من ذلك المكان فرأيت الأمور قد تغيرت، وأن العاصمة قد تحولت من المدينة – على ساكنها ألف ألف سلام – إلى "دمشق الشام"، فإذا قصور عالية قد علقت على أبوابها ستور جميلة،

وكسيت جدرانها بثياب فاخرة ، وإذا مساجد شامخة تناطح مناراتها السماء، وهي عامرة بالمصلين ، ورايت فيها حلقات الدرس ، ومجالس العلم ، وهي غاصة بطلبة علم الدين ، والشيوخ يحدثون عن النبي الكريم والناس يكتبون ويحفظون .

ورأيت الناس أنواعا ، منهم الزهاد ، والعباد ، وطلبة العلم ، ومنهم المترفون ، ورأيت آثار الحرية والترف ، ورأيت الناس طبقات في الغني والثروة والجاه والشرف ،



منظر عمومى لدمشق الشام

فهذا ابن الخليفة في زهوه وخيلائه ، وذلك عامل العراق في خدمه وحشمه ، وهذا سوقي ، وذلك شريف .

ورأيت بعض الحدود قائمة ، وبعض احكام الشرع نافذة ، ورأيت العلماء وأهل الدين يحتسبون على الناس متطوعين ، فيخضعون لهم ، ويستسلمون ، ورأيت الناس غير مجاهرين بالفسق ، غير مصرين على المعصية ، يحتشمون أهل الدين والعلم .

ورأيت الخليفة والأمير مع ترفه يصلي بالناس ، ويخطب فيهم ، ويجلس لهم ، ورأيت المدينة عربية ، فالخلفاء يصلون الشعراء بجوائز كبيرة ، وينحرون جزورا ، ويطعمون الناس ، ورأيت دولة المسلمين قد اتسعت حتى امتدت إلى حدود " الهند " في جانب ، وإلى ساحل البحر الأطلانتيكي في جانب آخر ، لا تقطع في أقل من خمسة أشهر على أسرع جمل .

فقلت : لعل هذا عصر الأمويين ، ولعلي في نهاية القرن الأول .

ثم انحدرت إلى أسفل ، فرأيت مدينة حديثة على ضفتي دجلة ، ورأيت مدينة خليطا ، فيها صور عربية ، وفيها صور عجمية ، والناس أخلاط فيهم العرب ، وفيهم الفرس ، وفيهم أهل الهند ، وكثير منهم الترك ،

ورأيت قصر الخليفة مثل قصور ملوك العجم يحرسه الترك، وكذلك قصور الوزراء والأمراء، ورأيتهم يخرجون في مواكب ملوكية في أبهة عظيمة .



ناحية من نواحي جامع أندلس قرطبة

ورأيت بعض الناس يربون الحمام، ويشترونه بأثمان غالية، ويتهارشون بالديوك والكلاب، ورأيت أنواع اللهو واللعب، فقلت: جاء هذا من كثرة الأموال، واختلاط الأعاجم .

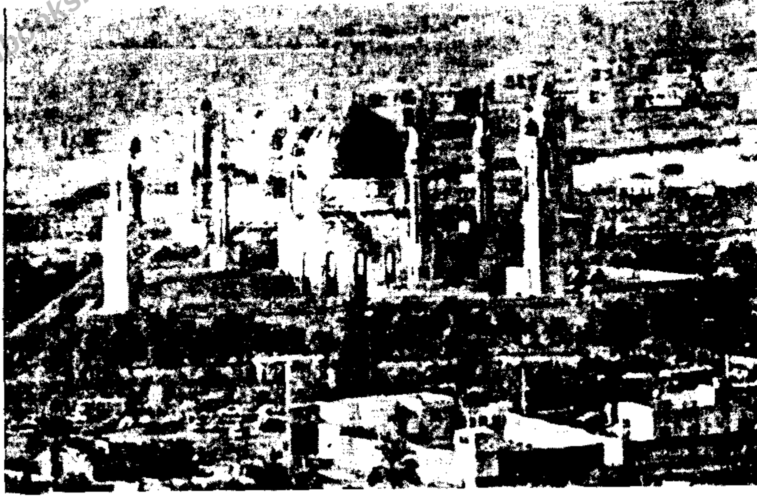
ورأيت القضاة وقاضي القضاة قد ازدحم عليه المتظلمون، وهو يقضي بينهم، وقد تأخذ قضية أياما .

ورأيت السجون قد غصت بالمجرمين ، واللصوص، والشطار .

ورأيت كذلك مساجد مزدحمة بالمصلين ، ومدارس غاصة بطلبة علوم الدين ، ومجالس الوعظ عامرة بالمستمعين ، ورأيت الناس يجزون نواصيهم ويخرون مغشيا عليهم ، ويتوبون عن المنكرات ، ويسلم كثير من أهل الذمة كل جمعة ، فقلت : إن الناس لم يفقدوا قلوبهم ، وإن الدين لايزال له سلطان على القلب والروح.

ورأيت كذلك رجالا منقطعين عن الدنيا ، معرضين عن الملوك وجوائزهم وصلاتهم ، يأتي إليهم الناس من "خراسان " و "الهند" ويستفيدون ، وتأتيهم الدنيا راغمة ، ويأتيهم الملوك والأمراء صاغرين ، فرأيت دولة دينية تزاحم الدولة المادية ، وتفوقها في العزة والسلطان .

ورأيت أكبر دولة على وجه الأرض ينظر ملكها أو الخليفة – كما يقول الناس في تلك البلاد – إلى سحابة فيقول : " أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك ".



منظر عمومى لمدينة بغداد

فقلت : هذه بغداد عاصمة العباسية ، ولعلي في القرن الثالث .

وحانت مني التفاتة إلى خليج جبل الطارق ، فرأيت على ضفته مدينة زاخرة العمران ، شامخة البنيان ، ورأيت فيها قصورا متسقة ، وحدائق متناسبة ، وشوارع مرصوفة ، وعيونا متدفقة ، وجسورا منصوبة ، ومساجد مزخرفة ، ومدارس مشيدة ، فتذكرت ما قرأت في التاريخ عن مدينة قرطبة ، وعرفت أن مساحتها ستة عشر ميلا في الطول ، وستة أميال في العرض ، وأن فيها مئة ألف وثلاثة عشر ألفا من القصور والمنازل ، وثمانون

ألفا وأربعمئة من الدكاكين ، وسبعمئة من المساجد ، وتسعمئة حمام ، و أربعة آلاف و ثلاث مائة مخزن ، وإحصاء المدينة يربو على مليون .

ورأيت في المدينة متنزهات فسيحة ، وحدائق ذات بهجة ، وطرقا وشوارع بالحجر ، وسرادقات منصوبة يأوي إليها الغرباء ، و الباعة ، و السابلة في الحر والشمس ، ورأيت الأسواق مشحونة بالمتاجر والسلع الغالية ، التي جلبت من بلاد بعيدة ، ورأيت رباطات للجوابين والتجار .

ورأيت بجنب مدينة قرطبة مدينة صغيرة ما رأيت أجمل منها على وجه الأرض ، فقلت : لعلها مدينة الزهراء المعروفة في التاريخ ، وأنا في القرن الرابع ، وهذه أيام ملك الأندلس عبد الرحمن الناصر ، أو ابنه حكم الثاني .

(٣٢)

من النجوم إلى الأرض

(٣)

وصرفت نظري من الغرب إلى الشرق ، فرأيت دولة قوية واسعة ، قاعدتها " نيسابور " تحكم "خراسان " و "العراق " و"إيران " و يتحكم ملوكها في "بغداد " وينصبون ويعزلون ، ويغزو ملكها الب أرسلان الأفرنج في ديارهم ، ويأسر ملكهم النصراني ، ويضرب عليهم الجزية ، و قد بلغت هذه الدولة أوجها في عهد ملك شاه ، و وزيره الفاضل نظام الملك الطوسي ، فرأيت المدرسة النظامية في "بغداد " عامرة آهلة ، يدرس فيها مثل الإمام أبي حامد الغزالي ، وتنفق عليها الدولة السلجوقية ، و رأيت شقيقتها المدرسة النظامية في "نيسابور "يدرس فيها مثل إمام الحرمين الجويني ، فقرت بذلك عيناي ، ودعوت للدولة السلجوقية ، وملكها ، ووزيرها .

وما لبثت أن رأيت الأفرنج يحملون الصلبان ، ويغيرون على البلاد الإسلامية ، ورأيتهم من كل حدب

ينسلون ، وقد جن جنونهم ، حتى سافر الوف من الأطفال والغلمان من بلاد الأفرنج ليفتحوا القدس ، وقد غرق أكثرهم في الطريق ، وماتوا ، ورأيت ملوك أوربا قد أخذوا القدس ، ووضعوا في المسلمين السيف ، حتى سالت بدمائهم سكك مدينة القدس ، وزلقت فيها الخيل ، وأخذوا أكثر مدن " سورية " و "فلسطين " وهددوا مصر والعراق ، وطمعوا في الحجاز ، وبلغت بهم الجراءة والوقاحة أن حلف منهم أمير على إهانة الجسد الطاهر الدفين في المدينة ، عليه ألف ألف سلام .

رأيت كل ذلك . والتفت إلى االدولة السلجوقية في "نيسابور" وقلت : أين ملوكها الذين كانوا يغزون الأفرنج ، ويهزمونهم مرة بعد أخرى ، فإذا هي قد انقرضت سنة (٥٣٢) والتفت إلى المسلمين فرأيتهم في لهو ولعب ، وفي غزو ونهب ، بأسهم بينهم شديد .

و رأيت الناس والملوك والوزراء والعلماء في شغل عن الأفرنج ، فخفت على الإسلام ، وقلت:على الدين السلام .

وإذا بالسلطان نور الدين الزنكي ، والسلطان صلاح الدين الأيوبي وقد نزلا بالأفرنج ، وقارعاهم قراعا شديدا ، ولم يزل صلاح الدين يضرب الحديد بالحديد حتى هزم الأفرنج في طبرية شر هزيمة ، ودعا بالبرنس الذي حلف على إهانة جسد رسول الله ﷺ، وضرب رأسه بيده قائلا : اليوم أنتصر لمحمد .

وانتزع القدس والمدن الشامية من أيدي النصارى ، وبيض وجه المسلمين في العالم ، وكان فتحا تضاءلت أمامه الفتوح ، وأثنى عليه الملائكة والروح ، وقال قائل من المسلمين :

هذا الذي كانت الأيام تنتظر
فليوف لله أقوام بما نذروا

ثم انحدرت إلى أسفل ، فرأيت أن بغداد التي زرتها قبل دقائق ، قد زحف إليها جراد من التتر ، فخربها تخريبا ، وفجروا من دماء أهلها أنهارا ، ورفعوا من رؤوسهم منارا ، وقتلوا الخليفة المستعصم شر قتلة ، ورموا بالكتب النفيسة في ماء دجلة ، فاسود تارة بسوادها ، واحمر تارة بدماء اهلها ، ولولا أني أعرف

مكانها على شاطئ دجلة لأنكرت هيئتها ، ولم أعد أعرفها .

ورأيت التتر جراداً منتشرا في العالم الإسلامي ، وقد خربوا المدن الإسلامية الكبرى ، وعواصم الشرق ، نقضوا بناياتها ، وخربوا مساجدها ، وأحرقوا دورها ، وذبحوا أهلها ، ومزقوا دولة خوارزم شاه في خراسان ، وقضوا على الخلافة العباسية في العراق ، واستشعر المسلمون الخوف والجبن حتى صاروا لا يصدقون بهزيمة التتار ، واشتهر على ألسنتهم ، إذا قيل لك : إن التتر انهزموا فلا تصدق .

وخفت على الإسلام مرة ثانية ، وقلت: لعل هذه آخر ساعة من ساعاته ، وإذا بي أرى التتر يدخلون في الإسلام أفواجا ، وإذا بفاتح المسلمين يعود مفتوحا للإسلام ، فعرفت أن هذا الدين خالد ، وأنه يقهر كل قاهر .

ولكن ضعف أمر المسلمين ، وساد الجمود والخمود في أنحاء العالم الإسلامي ، ولم أر شيئا يقر العين ، ويشرح الصدر ، ويبعث الأمل في النفس ، إلا أني رأيت في

آسيا الصغرى جمرة من حياة ، وآية من نشاط ، فقد أسس الغازي عثمان خان دولة مستقلة ، وكان لهذه الدولة الفتاة مستقبل عظيم ، وقد فتح شبلها الغازي محمد الثاني القسطنطينية عاصمة العالم النصراني سنة (٨٥٨هـ) اتخذها قاعدة ملكه ، وخلفه ملوك عظام توغلوا في أوربا ، وقهروا الأمم النصرانية .

هنالك التفت إلى بلاد " الأندلس " مرة ثانية ، فرأيت قرطبة وما جاورها من البلدان الإسلامية قد خرجت من أيدي المسلمين ، وإذا المساجد قد عادت كنائس للنصارى ، يرن فيها الناقوس ، و إذا وجوه عربية : ودين نصراني ، وحضارة شبه عربية ، وحياة جاهلية ، فاسترجعت ، وبكيت .

وسرحت طرفي في جزيرة الأندلس ، فرأيت غرناطة العربية الإسلامية كأنها جزيرة الإسلام في بحر الكفر والظلمات ، وما لبثت أن غمرها الماء أيضا ، واستولى عليها الملك النصراني " فردنند" وملكتها إزابلا ، ورأيت أبا عبد الله آخر ملوك بني الأحمر يسلمها مفاتيح ملكه ويلقي على غرناطة و قصر الحمراء نظرة الوداع ،

ويبكي ، ويرحل إلى مراكش .

وما لبثت أن رأيت البلاد الأندلسية الإسلامية تحول نصرانية ، والأمة العربية تجبر على الارتداد . رأيت مساجد تهدم ، أو تحول كنائس ، ومدارس تعطل ، ومكاتب تحرق ، وقبورا تنسف ، وأجسادا تنبش ، وأحياءا يحرقون ، ويشنقون ، وما لبثت البلاد التي حكم فيها الإسلام ثمانية قرون أن أصبحت نصرانية ليس فيها أحد يلفظ بكلمة الإسلام ، ويؤمن بمحمد عليه السلام .

راعني هذا المنظر ، وفزعت منه ، فإذا أنا على فراشي ، وقلت: لعل الله أراد بي خيرا ، فقد أراني أطوار العالم الإسلامي ، وألوان المسلمين ، أراني عهد الخلافة الراشدة ، ثم أراني انحطاط المسلمين ، وأراني كيف يسلم الكافر ، ويخضع القاهر ، وكيف يرتد المسلم ، وتتنصر البلاد الإسلامية بغفلة المسلمين ، وسوء سيرتهم .

وقمت وقد آليت على نفسي أن أكون جنديا للإسلام ، مرابطا على ثغوره ، وألا تعود حادثة الأندلس في العالم الإسلامي .

❖ الأسئلة :

(١) لِمَ لَمْ يحتج المجتمع الإسلامي الأول إلى سجن يوضع فيه السارقون ؟

(٢) كيف كانت العلاقات الاجتماعية بين الناس عند السلف الصالح ؟

(٣) ما صفات الجند في الإسلام ؟

(٤) اذكر أسماء بعض الأعداء الذين حاربوا المسلمين ، وعادَوا الحضارة العربية ؟

(٥) من حرر القدس من سيطرة الصليبيين ؟

❖ اكتب أمام كل كلمة مما يلي كلمة واحدة تفيد عكس معناها :

- نام	عكسها	استيقظ
- الشقاء	عكسها	. . . .
- الذكاء	عكسها	. . . .
- الضحك	عكسها	. . . .

(٣٣)

رثاء الاندلس

لـكل شيئ إذا مـا تـم نـقـصـان
فلا يغر بطيب العيش إنسان
هى الأمـور كـمـا شـاهـدتـهـا دول
مـن سـره زمـن سـاءتـه أزمـان
وهـذه الـدار لاتبـقـى عـلـى أحـد
ولايـدوم عـلـى حـال لهـا شـان
فجـائـع الـدهـر أنـواع منوعـة
وللـزمـان مسـرات و أحـزان
ولـلحـوادث سـلـوان يسـهـلـهـا
ومـا لـمـا حـل بالاسلام سلوان
دهـى الـجـزيـرة أمـر لاعـزاء لـهـا
أهـوى لـه أحـد والنهـد ثـهـلان
أصابها العين فى الاسلام فارتزأت
حتـى خلت منه أقطار وبلدان
فـاسـأل بلنسيـة مـا شـأن مرسيـة
وأيـن شـاطبـة أم أين جيـان

وأيــن قرطبــة دارالـعلـوم فـكـم
من عالم قد نما فيها له شأن
وأين حمص وما تحويه من نزه
ونهرها العذب فياض وملآن
نبكى الحنيفية البيضاءمن أسف
كما بكى لفراق الإلف هيمان
علــى ديار من الاســلام خالية
قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قدصارت كنائس ما
فيهن إلا نواقيس وصلبـــان
حتى المحاريب تبكى وهى جامدة
حتى المنابر ترثى وهى عيدان
مـاشيـا مــرحـا يلـهيه موطنـــه
أبعد حمص تغر المرء أوطان
تلك المصيبة أنست ما تقدمها
وما لها مع طول الدهر نسيان
أعندكم نبأ مــن أهـل أنـدلـس
فقدسرى بحديث القوم ركبان

كم يستغيث بنا المستضعفون وهم
قتلى و أسرى فما يهتز إنسان
ما ذا التقاطع فى الاسلام بينكم
وأنتم يا عباد الله إخوان .
الا نفوس أبيات لها همم
أما على الخير أنصار و أعوان
يا من لذلة قوم بعد عزهم
أحال حولهم جور وطغيان
بالأمس كانوا ملوكا فى منازلهم
واليوم هم فى بلاد الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم
عليهم فى ثياب الذل ألوان
ولو رأيت بكاهم عند بيعتهم
لهالك الأمر واستهوتك أحزان
يارب أم و طفل حيل بينهما
كما تفرق أرواح وأبدان
وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت
كأنما هى ياقوت ومرجان

يقودها العلج للمكـروه مـكرهــة
والعين باكية و القلب حيران
لمثل هذا يذوب القـلب مـن كمـد
إن كان فى القلب إسلام وإيمان

(صالح بن شريف الرندى)

الأسئلة :

١ ـ ما المراد من الجزيرة و ما دهاها ؟
٢ ـ ما هي الحنيفية البيضاء و ما بكاؤها ؟
٣ ـ ماذا يقصد الشاعر بقوله : بالأمس واليوم ؟
٤ ـ هل يكون للذل أثواب و لها ألوان ؟
٥ ـ شكّل جزء البيت الأول من آخر القصيدة :

لمثل هذا يذوب القلب من كمد
إن كان في القلب إسلام و إيمان

(٣٤)

ندوة العلماء

صارت قيادة المسلمين فى القرون المتأخرة إلى أناس لم يكونوا جامعين بين الدين و الدنيا ، فحدث فى الاسلام بدعة فصل الدين و الدنيا ، فاستبد الملوك بدنياهم وانقطع العلماء بدينهم ، وبقى العامة لا قائد لهم و لا رائد ، و صار الاسلام كالنصرانية ، عرش و كنيسة ولكل رجال، و قيصر و الاله و لكل نصيب ، ولكن عرش بدون قوائم ، وكنيسة بغير حراس .



دار العلوم ندوة العلماء

ولما طال بعد العلماء عن الحياة صاروا أجانب عن الحياة و عن الدين و عن السياسة ، حتى إذا تدخلوا فى شأن من شئونها كان ذلك حجة لأهل الدنيا على أهل الدين ، لعدم خبرة العلماء و قلة مهارتهم فى شئون الحياة و علوم العصر .

وتشاغل العلماء بعلوم ليس لها دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة ، و بمسائل لا تجدى نفعا ، تشاغلوا فى الزمن الأخير بالجدل والشقاق و التكفير و التضليل ، وصاروا يجاهدون فى غير جهاد ، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا، فكم سالت دماء، وكم جرت محاكمات لأجل مسائل فقهية فى محاكم الكفار ، وكم وقع من إهانات ذلت لها رقبة المسلمين فى الهند .

استولت أوربا على الأرض ، و كانت كما وصف الله سبحانه وتعالى "من كل حدب ينسلون " فهجمت على الاسلام من طريق العقل و النقل و الفلسفة و الحكمة والتاريخ و الأدب ، ومن طريق السياسة و باسم الحضارة و الثقافة ، وعجزت الآلات التى حارب بها

أسلافنا علوم اليونان عن مقاومة العلوم الغربية ، فاقتضى الحال أن يجدد علماء الاسلام آلات الدفاع عن الاسلام ويحدثون آلات أخرى للهجوم على العدو .

هذا والمسلمون فى الهند بين طائفتين ، طائفة قد آمنت بالعلوم الغربية بالغيب و آمنت بعصمة الغربيين فى علومهم و بسيادتهم و إمامتهم فى كل شيئ ، و دعت إلى قبول نظامهم فى التعليم على علاته ، و طائفة قد آمنت بعصمة العلماء المتأخرين فى منهاج درسهم وترتيبهم للكتب ، لا يرون عنه بدلا ولا يجدون عنه محيصا ، و يرون العدول عنه فى شيئ ضربا من التحريف و نوعا من البدع ، فكاد الدين و كاد العلم يضيع بين جاحد و جامد .

أدرك هذا الخطر رجال من أهل الدين المتين و العلم الراسخ و النظر الثاقب ، فى مقدمتهم العالم الكبير و الشيخ الصالح مولانا السيد محمد على المونكيرى رحمة الله عليه ، وكثير من أصحاب الشيخ الكبير مولانا فضل الرحمن الكنج مرادآبادى قدس الله

سره ، وتلاميذ الأستاذ الكبير مولانا لطف الله العليغرهى ، ينتهى نسبهم العلى إلى بيت الشيخ ولى الله الدهلوى ، و اجتمعوا وشاوروا فى الأمر ، وكانوا قد اجتمعوا فى حفلة مدرسة " فيض عام " فى كانفور التى أسسها المفتى عنايت أحمد (م١٢٧٩هـ) أستاذ الشيخ لطف الله .

اجتمعوا فى هذه الحفلة سنة ١٣١٠هـ وبحثوا فى مسائل التعليم الدينى و مستقبل المدارس العربية و شئون المسلمين الاجتماعبة و الخلقية ، و صحت عزيمتهم على تأسيس جميعة دينية علمية تعنى بمسألة التعليم الدينى و إصلاح المسلمين الاجتماعى الخلقي ، و الجمع بين طبقات المسلمين عامة و طبقات العلماء و أحزابهم خاصة .

أسس هؤلاء العلماء - وهم نخبة علماء الهند - جميعة باسم " ندوة العلماء " و عقدوا حفلتها الأولى فى كانفور سنة ١٣١١هـ تحت رئاسة الأستاذ الأكبر الشيخ لطف الله العليغرى ، وأرسلوا دعوتهم إلى جمع كلمة العلماء و رفع الشقاق و النزاع مبن بينهم ،

و إصلاح المدارس القديمة و التغيير اللائق فى منهاج المدارس .

اجتهد أعضاء الندوة فى ذلك واجتمعوا و تشاوروا و كاتبوا و أرسلوا و خطبوا و كتبوا فى هذا الموضوع ، و لكن علموا بعد الاختبار أن ذلك لا يتم إلا إذا أسسوا مدرسة خاصة تكون مثلا عمليا للمدارس الأخرى .

فأسسوا فى لكهنؤ عاصمة الولاية الشمالية فى الهند - على دعوة السرى المخلص الشيخ أطهر على الكاكوروى (م١٣٢٦هـ) دفين البقيع - مدرسة دينية عربية هى دارالعلوم التابعة لندوة العلماء ، و كان ذلك سنة ١٣١٢هـ ، تولى إدارتها و الإشراف على شئون مدرستها رجال يمتازون بمتانة فى الدين مع تسامح فى الخلافيات و الفروع ، و رسوخ فى علوم الدين مع اطلاع واسع على شئون العصر ، و محافظة على الشرع و التقوى مع حب الجمع بين طبقات الأمة ، و هم من بيوتات علم و دين ، فكان مولانا السيد محمد على المونغيرى (م١٣٤٦هـ) خليفة الشيخ الكبير مولانا فضل الرحمن الكنج مرادآبادى أول مدير لندوة العلماء ،

وخلفه مولانامسيح الزمان الشاهجهانفورى (م١٣٣١هـ) أستاذ سمو نظام حيدر آباد السابق ، و خلفه مولانا خليل الرحمن السهارنفورى (م١٣٥٥هـ) ابن المحدث الكبير مولانا أحمد على السهارنفورى صاحب حاشية البخارى ، وخلفه مولانا السيد عبدالحى الحسنى (م١٣٤٢هـ) صاحب نزهة الخواطر و المؤلفات العربية الجليلة من بيت السيد الامام أحمد بن عرفان الشهيد ، و خلفه مولانا السيد على حسن خان (م١٣٥٥هـ) نجل الأمير المؤلف الكبير السيد صديق حسن خان ملك بهوفال ، وخلفه الأستاذ الدكتور السيد عبد العلى الحسنى نجل مولانا السيد عبد الحى مدير ندوة العلماء الأسبق .

وكان الاشراف على شئونها التعليمية إلى الاستاذ الكبير و المؤرخ الشهير الشيخ شبلى النعمانى (م١٣٣٢هـ) ثم إلى تلميذه النابغ الأستاذ السيد سليمان الندوى .

تمتعت الندوه بحماية كبار الصالحين و رجال العلم والدين من أول يومها ، كمولانا ظهور الاسلام الفتح فورى ، و مولانا نور محمد الفنجابى ، و مولانا

تجمل حسين البهارى من كبار أصحاب الشيخ سليمان الفلواروى ، والسرى الفاضل مولانا حبيب الرحمن الشروانى رئيس الشئون الدينية في إمارة حيدر آباد سابقا من اقدم أعضاء الندوة و من كبار حملتها ، و الشيخ رحيم بخش وصي إمارة بهاول فور سابقا ، و العلامة عبد الحق الحقانى صاحب التفسير المشهور ، و الشيخ سليمان المنصور فورى ، و المنشى احتشام على الكاكوروى وغيرهم .

وتولى التدريس فى دارالعلوم علماء كبار من مشاهير علماء الهند و خارجها ، كالشيخ محمد فاروق الجرياكوتى و الشيخ عبد الله التونكى و الشيخ محمد طيب المكي والشيخ شير علي الحيدرآبادي والشيخ محمد بن الحسين اليمانى و الشيخ أمير على اللكهنوى ، و الشيخ حفيظ الله البندولى ، و الشيخ شبلى الأعظمى ، والشيخ حيدر حسين خان التونكى ، و الشيخ تقى الدين الهلالى المراكشى .

تأسست ندوة العلماء على مبدأ التغيير والاصلاح فى نظام التعليم الدينى و فى منهاج الدرس العربى ،

فحذفت و زادت و غيرت وأصلحت فى منهاج التعليم.

حذفت المقدار الزائد من كتب المنطق و الفلسفة اليونانيـــة التي ضعفت الحاجـــة إليها في هذا العصر، و أعطت القرآن حقه من العناية فقررت درس متنه الشريف حرفاً حرفاً لغة و نحواً و أدباً و اجتماعاً وفقهاً و كلاماً، هذا ماعدا التفاسير المقررة في الصفوف العالية، و ألزمت تدريس القرآن والحديث بالتدريج في سنيها التعليمية.

زادت مقدار دراسة اللغة العربية و آدابها، لأن اللغة العربية و الأدب العربي مفتاح كنوز الكتاب والسنة والرابطة الأدبية في الشعوب الإسلامية، ووجهت عنايتها إلى تعليم اللغة العربية كلغة من لغات البشر و كلغة حية يكتب بها و يخطب، لا كلغة أثرية عتيقة ميتة، و ألفت لذلك كتباً تساعد على ذلك، و قد أقر الناس بفضل الندوة في هذه الناحية.

قررت تدريس اللغة و بعض العلوم العصرية كالجغرافية و التاريخ و العلوم الرياضية و السياسة وعلم الاقتصاد، ليطلع العلماء على مقتضيات العصر،

و يتسلحوا بالأسلحة الجديدة للدفاع عن الدين .

أنست ما كان بين أهل المذاهب و الطوائف الفقهية كالحنفية والشافعية و أهل الحديث من المشاجرات و دواعي العصبية و نجحت في ذلك نجاحاً تاماً فلا تشم في دارها رائحة الخلاف و الحقد المذهبي وترى الطلبة من كل مذهب إخواناً متقابلين في قاعة درسهم و دار إقامتهم جنباً بجنب .

مبدء الندوة وشعارها أن تخرج من مدرستها رجالا مبشرين بالدين القديم لأهل العصر الجديد ، شارحين الشريعة الإسلامية بلغة يفهموا أهل العصر و بأسلوب يستهوي القلوب أمة وسطاً بين الجامدين والجاحدين .

و قد أنجبت في مدة قليلة رجالا هم خير مثل للعالم المسلم العصري الذين قد قامت بهم حجة العلوم الإسلامية على أهل العصر الجديد ، و رفعوا رأس علماء الدين عالياً بين طبقات المتعلمين ، و لهم آثار جميلة خالدة في الأدب الإسلامي و علم التوحيد لأهل العصر الجديد ، و السيرة النبوية والتاريخ ككتاب " سيرة النبي " في ستة مجلدات كبار و هي موسوعة إسلامية

و أكبر كتاب ألف في السيرة النبوية و مهمات الدين في هذا العصر للشيخ سليمان الندوي ، و كتب في تراجم الصحابة و سيرهم للمتخرجين من دارالعلوم ، و رسالة قيمة في الدين و العلوم العقلية للأستاذ عبد الباري الندوي ، إلى غير ذلك من الكتب والرسائل .

و قد أنشأ المتخرجون من الندوة جمعية دارالمصنفين في أعظم جراه ، وهي من المؤسسات العلمية الكبيرة في الهند تصدر مجلة علمية راقية شهرية باسم " معارف " .

و لدارالعلوم بناية عظيمة على شاطئ نهر كومتي في مدينة لكهنؤ ، و مكتبة كبيرة تحتوي على ٥٠ ألف كتاب أكثرها غير مكرر و ١٨٠٠ من الكتب الخطية النادرة و دار لإقامة الطلبة و مسجد جميل .

❖ الأسئلة :

١ ـ اين تأسست دارالعلوم ندوة العلماء ؟

٢ ـ اذكر أسماء طليعة المؤسسين لها ؟

٣ ـ في اي عام و في أي مدينة عقدت الحفلة الأولى لجمعية ندوة العلماء ؟

٤ ـ اذكر أسماء أوائل رؤسائها والمشرفين على شئونها التعليمية ؟

٥ ـ ما هو المبدأ الذي قامت عليه دارالعلوم ندوة العلماء ؟

٦ ـ أين يقع مقر دارالعلوم ندوة العلماء من مدينة لكناؤ؟

٧ ـ كم كتابا تحتوي مكتبة ندوالعلماء ؟

٨ ـ من كتب هذا المقال؟ وماذا تعرف عنه ؟ صفه في سطور .

(٣٥)

علي لسان الندوة

عفـي ديار علـوم الـدين قـاطبـة
نسج الدبور وأرياح جرت نقما
يـا للمـدارس أضحـت وهـي دارسة
يا للمكاتب تبكي العلم والعلما
أمـا سمعتـم بكياها وهـي صارخة
صراخ ثكلي على مولودها اخترما
وارحـمتـاه لأرض الـديـن ينقصهـا
ريب المنون ممدا سيلها العرما
وارحـمتــاه لـديـن قـل عصبتـه
من كل حام حماه راسخ قدما

وارحـمتـاه لـديـن قـل نادبـه
وللـرجـال و واسيفـاه وا قلمـا
ياللبقيةصونوا الـديـن تنتصروا
يصونكـم ويردالمجـد والحشمـا
إنـي محـذركم من وقـع واقعـة
يمسي الوليد لديها هيبة هرما
الا خذوا حذركم في كل آونة
فما اتقى النار إلا كيس حزما
ووثقوا عروة الاسلام أوهنها
تفرق فيكـم قد حـل مختـرما
هـذى اختلافاتكم كم شخصت بكم
وسفهت عرب الاسلام والعجما
ألـيس أكمـل هـذا الدين ربكـم
أمـاأتـم عليكم فضلـه النعمـا
ياليت شعرى ففيما ذا اختصامكم
وما الذى بعده ترضونه حكما
كم ذى الفتاوى وكم تكفير إخوتكم
كم ذاالتشـاتم واذلاه واندمـا
هـذا الـذى فتـر الأسـلام نهضتـه
هذا الذى قصرالأعزام والهمما

الله الله كونوا أصدقاء، كما
كانت معاشرة الاسلاف والقدما
الله الله إن كنتم لهم خلفاً
فتابعوهم مع الاحسان لا جرما
وثقفوا أود الأحداث تربية
وعلموهم علوم الدين والحكما
ضيعتموهم إذا الأقوام غيركم
حازوا الفنون وفاقوا في النهي أمما
غدا سئل كل عن رعيته
فما جوابكم يا معشر العلما ؟!

(احمد بن عبدالقادر الكوكنى م ١٣٢٠م)

❖ الأسئلة :

١ ـ كيف كان وضع المدارس عندما أسست دارالعلوم ندوة العلماء؟

٢ ـ من أي شيئ حذر الشاعر ؟

٣ ـ من يتقي النار ؟

٤ ـ كيف كانت الأقوام الكافرة إزاء العلوم والفنون عند ما أسست ندوة العلماء ؟

٥ ـ إقرا البيت الآتي و بين إعراب المصرع الأول منه و اجعل لكل جزء عمودا :

غدا سئل كل عن رعيته   فما جوابكم يا معشر العلماء

غدا سئل كل عن رعية ه

الموضوعات بحسب الأغراض

ـ الدروس الدينية والخلقية

الحياة في مدينة الرسول ﷺ

أدب القرآن

تجارة رابحة

ـ دروس من التاريخ الإسلامي

عمر بن الخطاب و أم البنين

بين والد جندي وولد فقيه

رسول المسلمين عند قائد الفرس

كيف تعلمت الإسلام في الأندلس النصرانية

من الشنق إلى النفي

ـ تلخيص التاريخ الإسلامي

من النجوم إلي الأرض

ـ تلخيص التاريخ الهندي الإسلامي

المنارة تتحدث

ـ رجال التاريخ الإسلامي

الإمام أبو حامد الغزالي

السلطان مظفر الحليم الكجراتي

شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية

عالمكير بن شاه جهان سلطان الهند

ـ المعاهد الدينية

ـ دروس الأشياء

ـ شعر ـ حكمة و ملح

* * *

فهرست الجزء الثالث من القراءة الراشدة